

الافتتاحية

١ - الجهاد هو الجهاد

ليس شيئاً من شعائر الإسلام يثير رعب أعدائه مثل الجهاد، وليس أمراً حرص المستعمرون وأذئابهم على تشويبه؛ وتفريغ قلوب وعقول المسلمين منه كهذه الفريضة. وما من مناسبة استعمل فيها المسلمون كلمة "الجهاد" إلا وكانت ناقوس خطر يثير فيهم خليطاً من مشاعر الرهبة والغضب، يوازيه عمل دائب بشتى السبل للحد من أثر هذه الكلمة النفسي والعملية.

وفي فترة سبات طويل اجتمعت فيها أسباب كثيرة جعلت المسلمين ينظرون إلى كثير من مفردات دينهم نظرة خاطئة، ويجردونها من معانيها الأصلية، ويلبسونها معاني ليست لها، وهي في الحقيقة معانٍ تعكس ضعفهم ورضاهم بالواقع، ويتمثل فيها خداعهم لأنفسهم وتسويل الشياطين لهم. وكان الجهاد من تلك الكلمات التي تلوعب في معناها، فالتبست على الكثيرين مع أنها من أشد الكلمات وضوحاً وتوضيحاً، سواء في القرآن أو في السنة، فمثلاً لم يكن يتصور أحد من الصحابة أن يحقق معنى الإسلام في نفسه دون أن يشارك في الجهاد، وهكذا اندفعوا في كل اتجاه حاملين دين الله يبلغونه للعالمين، فكم منهم من مات في مسقط رأسه يا ترى؟! وهل يدرى مسلمو اليوم كم قضى من أولئك الحشد الكريم في البلاد البعيدة، وإلى أي مدى وصلت بهم همهم العالية، لا نقول: أقدامهم أو سنانك خيلهم؟! وكذلك الأجيال الأولى في التاريخ الإسلامي.

ومع أن فقه الجهاد وما يتعلق به بقي في كتب الفقه محددًا مفصلاً، محفوظاً ومدروساً؛ إلا أن الجهاد "العملي" لازال يتقلص وينحسر حتى أتت على المسلمين فترة انقلب فيها فهمه رأساً على عقب، وأصبح يوصف (بالأصغر) بينما أصبح حال المتبطلين الخانعين من الصوفية، المنعزلين عن المشاركة في الحياة الإيجابية بعرضها وطولها، المتطلعين إلى وسم أساليب حياتهم بسمات شرعية تسوغها.. أصبحت هذه الأساليب الغريبة عن روح الإسلام "جهاداً أكبر"! فرووا في ذلك حديثاً ضعيفاً، بل موضوعاً لا تصح روايته إلا مقرونة بما يفيد تركها وسقوطها، والحديث هذا عن جابر قال: قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- من غزاة فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر = مجاهدة العبد هواه» (١). وهو حديث ساقط روايةً ودرايةً أي سنداً ومتناً. أما رواية، فلأن في سننه يحيى بن العلاء، قال عنه ابن حجر: رمي بالوضع، وضعفه أبو حاتم الرازي، ويحيى بن معين، وقال عنه الدارقطني: متروك، وقال عنه أحمد بن حنبل: كذاب يضع الحديث.

وأما دراية فلأنه معارض لصريح قوله تعالى: ((لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)) [النساء/٩٥]. وكذلك فإنه لم يرد في ثواب عمل من الأعمال ما ورد في فضل الجهاد في سبيل الله، ففضلاً عن الآيات القرآنية الكثيرة؛ إلى القارئ بعضاً من أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- في فضله: - رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد.

- إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض (رواه البخاري).
- ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (رواه البخاري).
- رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح).
- رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه أجرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان (رواه مسلم).
- وعند البخاري أن رجلاً قال: يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده» ثم قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟». فقال: ومن يستطيع ذلك؟
- لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (متفق عليه).
- (والجهاد - باتفاق العلماء - أفضل من الحج والعمرة، ومن صلاة التطوع، وصوم التطوع.... ونفع الجهاد لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، وهو مشتمل على جميع العبادات الظاهرة والباطنة: محبة الله ، والإخلاص له ، والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال له ، والصبر والزهد ، وذكر الله [مجموع الفتاوى ٢٨ / ٣٥٣].
- ولقد وصل المسلمون في الأعصر الحاضرة إلى مرحلة فاصلة، وعطلت كثير من أحكام الإسلام ومفاهيمه ، وأجبر الناس جبراً ، وعلى غير رضا منهم ، على العيش في ظل مفاهيم غريبة عن عقيدتهم ودينهم ، وأصبح الجهاد بمعناه الشرعي بعيداً عن أفكارهم وتوجهاتهم ، وكل ذلك يهون وتمكن معالجه عند إدراكهم لحقيقة دينهم وحقيقة واقعهم وما هم عليه من حال بعيدة عما يرضاه الله تعالى لهم ، ولكن الرضا عن هذا الواقع المؤلم ؛ والاحتجاج له بالحجج الواهية المقدمة في ثياب شرعية زائفة أصبح غير مقبول ، ولا يقل خطراً وأثراً تخريبياً عن المذاهب الهدامة ، والبدع المدمرة التي يستعين مروجوها - بالإضافة إلى الحديد والنار وحيل الاستعمار - بشراء الفتاوى الباطلة لتقبلها الجماهير بأقل ما يمكن من التكاليف والجهود.
- إن الجهاد هو الجهاد: بذل لكل ما يمكن من الجهود في سبيل الله ، ومدافعة أعداء الله وأعداء رسوله بكل ما يستطيع من القوة ، قوة البدن ، وقوة السلاح ، وقوة المال ، وقوة العلم والمعرفة، على هذا استقر الإسلام يوم استقر ، وبعيداً عن هذا الفهم الجامع لمعنى الجهاد نزلت بنا الكوارث ، وفعلت بنا الأفاعيل.

٢ - الحج ذلك الموسم العظيم

إن فوائد الحج الفردية لا يمكن إنكارها أو المجادلة فيها ، فهو تزكية للنفوس ، وتجريد لها من عوامل الضعف، وتزكية لها بالتصميم على الانخلاع من الذنوب والآثام ولذة القرب من الله ومناجاته في المشاعر التي عظمها بنفسه: ((وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ))

لكننا في هذه المناسبة نحب الإشارة إلى الجانب الاجتماعي والمظهر العالمي للحج كموتمر للمسلمين يقفون فيه وقفة للمراجعة ، شاكرين نعمة الله عليهم سائلينه العون على تجاوز العقبات والصعاب.

وإذا ما أشرنا إلى بعض السلبيات في موسم الحج فلا يعني هذا الغفلة عن ما لهذه الشعيرة من أثر في إصلاح أحوال المسلمين أفراداً وجماعات، بل هو مزيد إلحاح على هذه السلبيات حتى تتمحي أو تقل ولا يكون ذلك إلا ببت الوعي عند المسلمين المتوجهين إلى تأدية هذه الفريضة. إن كل من أكرمه الله بأداء فريضة الحج رجع وقد رأى وشاهد أنواعاً من التصرفات والسلوك بين صفوف الحجاج أقل ما يقال فيها أنها ليست من الإسلام في شيء ، بل إن روح الإسلام تخالفها أشد المخالفة، بل وتحاربها أشد الحرب، فهناك جهل كبير بأحكام الحج وآدابه يؤدي إلى أضرار كبيرة بالحجاج، وإعطاء صورة غير طيبة عن المسلمين وشعائرهم.

ولذلك وجب على العلماء وطلبة العلم كل بحسب قدرته تعليم المسلمين ونصحهم سواء قبل سفر هؤلاء الحجاج من بلادهم أو بعد وصولهم إلى المشاعر المقدسة ، وحتى يثمر التعليم والنصح والإرشاد ثمرته المباركة ينبغي أن يصدر عن مدارس مشاكل المسلمين الحجاج سواء في أثناء تأديتهم المناسك ، أو المشاكل العامة المتعلقة بأوضاع المسلمين عامة.

إن أهم المقاصد من الحج أن يتعانق الهدفان الديني والدنيوي وينعكسان على المسلمين خيراً وبركةً. وتتحقق السعدتان: سعادة الدنيا بتصحيح الأخطاء والقضاء على السلبيات؛ وسعادة الآخرة بمغفرة الذنب ومرضاة الرب، أما التطلع لتحقيق واحد من الهدفين منفصلاً عن الآخر فهذا مخالف لروح الآية الكريمة ((لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ))

الهوامش :

١ - انظر كلاماً حول هذا الحدث للشيخ محمد أمين المصري في كتابه سبيل الدعوة الإسلامية، ص ٧١.

في إشراقة آية ((وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ))

د. عبد الكريم بكار

هذه آية عظيمة القدر في كتاب الله - عز وجل - حيث إنها تسهم إسهاماً كبيراً في تشكيل رؤية المسلم إلى أشياء كثيرة في عالم الأحياء وترتب على عدم الاهتمام بهدي هذه الآية كثير من الخلل في حياتنا المعاصرة.

وما اخترناه ليكون عنواناً لهذه المقالة جزء من آية هي قول شعيب عليه السلام لقومه ((يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) [الأعراف: ٨٥].

وسياق الآية وإن كان يدل في ظاهره على أن المقصود المباشر بـ (أشياءهم) هنا ما يتبادلته الناس في معاملاتهم من المتاع ، إلا أن ما يملكه الناس ويتمتعون به من أخلاق وأفكار وتاريخ... أولى

بإقامة العدل وإنزاله في منزله من غير وكس ولا بخس ولا شطط لما يترتب على الإخلال بذلك من الحقد والقطيعة والفرقة وذهاب الريح ...

ولما كانت أصول دعوات الأنبياء - عليهم السلام - واحدة فإن الأمر بإقامة الموازين والحكم بالعدل والإنصاف ظل الوصية الخالدة التي يوجهها كل نبي إلى قومه ؛ لأنه بالعدل قامت السماوات والأرض ...

وقد أوصى الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم- أن يعلن لأمته أمر الله له بإقامة العدل فيها ، فقال: ((وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ)) [الشورى: ١٥].

وأوصى المؤمنين بإقامة العدل مع الناس كافة حتى الأعداء الذين يبغضونهم ويحاربونهم ، فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) [المائدة: ٨].

وقد كان صلى الله عليه وسلم- يقوم لله بالشهادة فيعطي كل ذي حق حقه ، وفي سيرته العطرة مئات الشواهد التي تفيد التزامه المطلق بإنزال الناس منازلهم ، وذكر محاسنهم وميزاتهم، مهما كان انتماءهم وحيث كان موقعهم فهذا هو يقول: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطلاً» .

مع أن لبيد وقتها كان كافراً (١) ، وكان بإمكانه عليه الصلاة والسلام أن يثني على شعر بعض أصحابه المملوء بحكمة وهدى بدافع حصر الخير فيهم، ولكن الالتزام بالحق والإنصاف وعدم بخس أحد حقه يأبى ذلك فأثنى على كلام رجل كافر .

ومن الجدير بالذكر هنا أن عثمان بن مظعون رض الله عنه سمع لبيداً ينشد البيت فلما قال: ألا كل شيء ما خلا الله باطلاً

قال له عثمان: صدقت ، فلما قال:

وكل نعيم لا محالة زائل

قال له عثمان: كذبت نعيم الجنة ليس بزائل.

وإن المرء ليعجب لهذا الإنصاف أيضاً من عثمان المقتبس من مدرسة النبوة حيث أثنى في النصف الأول على لبيد ، ويكذبه في النصف الثاني!!

وجاء المسلمون بسفانة بنت حاتم الطائي في السبي ، فذكرت لرسول صلى الله عليه وسلم- من أخلاق أبيها ونبله فقال لها:

«يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق والله تعالى يحب مكارم الأخلاق» (٢)

لقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم- من حاتم الموقف الذي تمليه شريعته الغراء التي جاء بها فأثنى عليه وأطلق سراح ابنته وأكرمها ولكنه لم يترحم عليه لعدم إيمانه لتتهدي الأمة بهذا الهدى النبوي العظيم!!

ونبه صلى الله عليه وسلم- النساء على ما يجري على ألسنتهن من انتقاص أزواجهن ووجد معروفهم عند أدنى خلاف فقال: «أرأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن ، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط» (٣).

وإن هذا الحديث يبرز قضية العدل إبرازاً يقل نظيره حيث جعل عليه الصلاة والسلام جوده سبباً كبيراً لكثرة وجود النساء في النار ، وكأن كفران العشير يحدث في الحياة الزوجية من الشروخ والندوب ما يوازي الجرائم الاجتماعية الكبرى.

وعلى هذا المنوال نسج الصحب الكرام رضوان الله عليهم حين إصدار الأحكام على الخصوم فضلاً عن الإخوة والرفاق ، فقد قاتل علي رضي الله عنه الخوارج وقاتلوه ثم قتلوه ، ولما سئل من قبل بعض الناس عنهم أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا ، فقالوا: أفمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرهم الله إلا قليلاً - أي هؤلاء يذكرهم الله كثيراً - قيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا!!(٤).

فهل بعض إنصاف أبي الحسن من إنصاف؟ وهل هنالك كلام يقوله شاهر سيف أرق من هذا الكلام؟!.

وظل روح العدل والإنصاف سارياً في الأمة قرناً عديدة ، وتجلى ذلك بشكل واضح جداً في القواعد التي صاغها المحدثون في الجرح والتعديل حيث وضحو الجوانب المختلفة لشخصية الراوي، وحكموا على كل زاوية على حدة، ثم انتهوا إلى حكم عام حوله، وصار عندهم من الظواهر المألوفة أن يطلب أحدهم الدعاء من رجل فإذا جاءه حديث عن طريقه حكم على الحديث بالضعف لأن طلب الدعاء مبني على اعتقاد الصلاح ، أما قبوله روايته فيعتمد على شيء آخر كضبط الراوي وعلمه ونباهته ، وغير ذلك...

ولكن تراجع هذه الرؤية الموضوعية الفذة فيما تراجع من الجوانب المختلفة من حياة المسلمين وصار المنصفون الذين يجردون الشهادة لله ، ويضعون الأمور في مواضعها دون بخس أو تزويد من القلة الذين يشار إليهم بالبنان، ولنذكر بعض النماذج التي ضربت بجذورها في حياة المسلمين اليوم، وصارت تشكّل ظاهرة مرضية مزمنة، وذلك نتيجة التطفيف في المكايل وبخس الناس أشياءهم:

١- يقوم شاعر ماجن أو ملحد بنظم قصيدة عصماء تتوفر فيها كل العناصر الفنية المجمع عليها ، فيتصدى لنقده بعض أهل الخير ، فيسقطه ويشنع عليه غاضباً الطرف عن كل إبداعه الفني، وما ذاك إلا لأن اتجاه ذلك الشاعر لا يروقه فاتخذ منه موقفاً ثابتاً ، حتى لو كان مضمون تلك القصيدة لا يمس أصولنا الاعتقادية ، ولا مسلماتنا المذهبية.

والواجب في مثل هذا أن يثنى على جوانب الإبداع في القصيدة ، وينتقد المضمون إن كان فاسداً نقداً أصولياً هادئاً عفيفاً.

ومن الواجب كذلك أن يفرق بين إنتاج الرجل الواحد فيثنى على الصالح منه وينتقد ما فيه دخن ، يقدم أحد الكتاب أو الشعراء خدمة جلى للمسلمين في كتاب أو قصيدة ويتعثر في كتاب أو كتب أخرى فيعطي حقه في كل منها دون بخس أو شطط ، وحين يكون النقد أو الخلاف في وجهات النظر على هذا المنهاج يكون إمكان الإصلاح أقوى ، ونكون أقرب من الصواب ، وأقرب للتقوى.

والرؤية التي يشكلها الإسلام لدى المسلم السوي في مثل هذا أن يشجع الأعمال الإيجابية، ويثني عليها ، ويكون عوناً فيها، فإذا رأى خلا نبيه عليه، وحذر منه وقام بالبلاغ المبين، ولو جرى مثل هذا في المجتمع لساد الانطباع بالإنصاف لدى الفريقين ومن بينهما من الناس ولأدى ذلك إلى تفتيت كتل المتشجنين والمتحاربين الذين لا يرون لغيرهم فضلاً ، ولا يظنون فيمن خالفهم إلا سوءاً.

٢ - يتأخى بعض أهل الخير في الله ويسعون جهدهم لخدمة هذا الدين وأهله صفاً واحداً، ثم تحدث اجتهادات أو أخطاء تؤدي إلى تباين وجهات النظر ، فتنشأ في الصف الواحد تيارات ومدارس ، وقد يتطور الأمر فيجد بعضهم الاستمرار مستحيلاً مما يجعله يقعد أو ينحو منحى آخر يجده أجدى وأنفع.

وسرعان ما يختلف اتجاه الرياح، فيصبح الأخ الناصح أو القائد المحنك أو الصادق المخلص جباناً ، أو بخيلاً أو صاحب مصالح بل قد يصبح عميلاً أو منافقاً... إلى آخر ما يوجد به قاموس (عمى الألوان) من الأوصاف الشنيعة والاتهامات المقذعة ، ويصبح اللقاء بين الحميمين العدوين ضرباً من المستحيل مع أن نظرة متأنية منصفة في ساعة إنابة الله جل وعز كفيلة بتبديد الغيوم وإذابة الثلوج. وإنما يحدث مثل هذا لخلل في التربية الاجتماعية وأسلوب التلقي وغياب المناهج والمعايير الدقيقة التي يتحاكم إليها المتنازعون ، وما غابت المناهج النيرة إلا كان البديل هو الاتهام وسوء الظن وطمس الحقوق.

٣- قد يحدث أن يسوق الله طالب علم إلى أحد المدرسين فيأخذ عنه بعض ما عنده من العلم في بعض الفنون ، ويشعر الطالب في بعض الأحيان أن ما عند هذا الشيخ في تخصص ما لا ينفع الغلة، ولا يروي الصادي فيتجه إلى شيخ آخر يلتمس ما عنده ، وهنا يشعر الأستاذ الأول أن ما فعله هذا الطالب فيه نوع من إساءة الأدب وعدم الوفاء بل قد يشعر أن هذا الطالب يوحي بأن ما عند الشيخ في هذا الفن ضئيل الفائدة وحينئذ يبدأ تقطيب الوجه ، والتصريح والتلميح والإشادة بأقران ذلك الطالب الذين يمثلون الأدب والوفاء والعبقرية ، ثم تكون الجفوة والقطيعة....

ونحن الآن في زمان ترك فيه الحلاق الحجامه ، وقلع الأضراس ، وترك فيه الطبيب الفلك والحساب بل إن إحاطة المرء بكل فن من الفنون صار متعذراً نظراً للتراكم الثقافي العظيم ، والانفجار الهائل في المعلومات.

وهذا الداء قديم عندنا ، وما لم تحرر النيات لله تعالى فستقطع رحم العلم ، ويحل الجفاء موضع الدعاء ، والإزورار موضع التزاور. وكم تختلف الصورة لو أن هذا الأستاذ أرشد تلاميذه إلى أولى الاختصاص ليفيدوا منهم إذا لقارضه الثناء الأستاذ الآخر ولا اتصلت الأنساب العلمية وأثريت الحياة الثقافية ، وقبل هذا وذاك حصول الالتزام بمنهج الله تعالى الذي لا يرضى لعباده التباغض والتحاسد وبخس الحقوق...

والخلاصة أن هذه الآية الكريمة مما عطل به العمل عند كثير من المسلمين ، ونشأ عن هذا التعطيل مرض اسمه: (عمى الألوان) ولكنه في البصيرة دون البصر ، فأطفت ألوان كثيرة لا تكاد تحصى كانت تتوهج بين الأبيض والأسود ، وكثر النمط الذي يقرظ ب: (وحيد دهره وفريد عصره) والنمط الذي يقول فيه (الرجال) ما رأينا منه خيراً قط ...

مصطلحات إسلامية

(الإحسان)

إعداد: عادل التل

تتميز اللغة العربية بسعتها وكثرة مدلولات ألفاظها وشمولها لمعان متقاربة، وقد جاء الشرع (القرآن الكريم والسنة النبوية) بألفاظ معينة لأحكام محددة ، وبين بشكل واضح المعنى المراد من كل لفظ

وحدد المقصود منها مما أغنى - في هذا الموضوع - عن الرجوع دائماً إلى أصل اللغة ، وأصبح هذا التخصيص هو المرجع في فهم نصوص الكتاب والسنة ، ونشأ علم المصطلح عند العلماء المسلمين ليساهم في توضيح هذه القضية ، وسنقدم خلال هذه الصفحات مصطلحات إسلامية نحتاج إليها دائماً.

المعنى اللغوي:

الإحسان: مصدر أحسن ، يحسن ، إحساناً. يقال على معنيين:

١ - أحدهما متعد بنفسه كقولك: أحسنت كذا أي حسنته وكملته وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء.

٢ - متعد بحرف الجر كقولك أحسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ما ينتفع به. والحسن أصل واحد في اللغة وهو ضد القبح ، وهو عبارة عن كل مرغوب فيه ، ومنه الحسنة يعبر بها عن كل ما يسر النفس من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها ومنه الإحسان ضد الإساءة.

المعنى الاصطلاحي:

يجتمع الإحسان والإنعام بمعنى العطاء ولكن الإحسان أهم من الإنعام ، بحيث يكون الإحسان للنفس ، بينما لا يكون الإنعام إلا للغير ، وكذلك الإحسان والعدل ولكن الإحسان فوق العدل لقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)) فالعدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له ، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ، ويأخذ أقل مما له ، لذلك قيل تحري العدل واجب بالشرع ، وتحري الإحسان ندب وتطوع. ولقد عرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الإحسان حين أجاب جبريل عليه السلام: «الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أخرجه البخاري.

قال ابن الأثير في معنى الإحسان هنا: الإخلاص ، وقال القرطبي: هو راجع إلى إتقان العبادة ومراعاتها بأدائها المصححة المكملة ، ومراقبة الحق ، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار ، وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين:

أحدهما: غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه ، ولعل النبي -صلى الله عليه وسلم- أشار إلى هذه الحالة بقوله: «وجعلت قرة عيني في الصلاة».

وثانيهما: لا تنتهي إلى هذا ، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه ، ومشاهد له ، وإليه الإشارة بقول الله تعالى: ((الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُ فِي السَّاجِدِينَ)) ، بينما يعتبر ابن تيمية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جعل الدين ثلاث درجات ، أعلاها الإحسان وأوسطها الإيمان ؛ ويليها الإسلام ، لقول الله تعالى: ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ)) فالإحسان يدخل في الإيمان والإيمان يدخل في الإسلام.

من أحكام المصطلح:

- ١ - إن الإحسان درجة عالية في مراتب الدين يجب على الإنسان أن يسعى إليها بنية صادقة ومجاهدة مستمرة ، قال تعالى: ((بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ)).
- ٢ - الإخلاص في العمل ، قال سفيان بن عيينة: "كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات: من أصلح سريره أصلح الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن عمل لأخرته كفاه الله أمر دنياه".
- ٣ - إن الدعوة إلى الله بحاجة أن يتمثلوا بهذه الحقيقة ويكونوا في مستوى هذه المنزلة الرفيعة، فالدعوة إلى الله تحتاج دائماً إلى جيل متميز يصبر على مشاق الدعوة ، ويجتاز الصعاب ، يقول تعالى: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي

الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةَ ادْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) .

- ٤ - أمر الإسلام بالإحسان في كل شيء ، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة...) أخرجه مسلم .
- ٥ - عندما يصل المسلم إلى هذه الدرجة العظيمة من الإحسان والتقوى ، وكلما أوغل قلبه في هذا الطريق ، تيقظ شوقه إلى مقام أرفع ، ولا يبالي بعد ذلك بما يصيبه من بلاء أو يواجهه من أهوال ، ينطلق بدعوته للخير دون خوف أو خجل...

خواطر في الدعوة الفرصة المتاحة

محمد العبد

إن ما يحدث على الساحة العالمية هذه الأيام شيء يحتاج إلى وقفة تأمل وتدبر ، فموجة المطالبة بالحرية الديمقراطية في الحكم تجتاح أعتى الدول دكتاتورية وقبضة حديدية، أمريكا الجنوبية ترجع شيئاً فشيئاً إلى طريق الانتخابات ، الدول الشيوعية وعلى رأسها روسيا تقوم فيها المظاهرات مطالبة بإعادة الاعتبار للشعوب المقهورة ، هل كان أحد يتوقع أن تقوم مظاهرة في موسكو؟! والروس هم الذين سحقوا الشعوب التي طالبت بشيء من الحرية، وما يحدث في الصين أعجب ، لقد تظاهر المسلمون أيضاً يطالبون بحقوقهم ، رغم أن العسكر رجعوا إلى عاداتهم القديمة في قمع هذا الاتجاه. لقد أفلست الشيوعية ومن قبلها الرأسمالية رغم أن الغرب يحاول الآن استغلال هذا الانهيار في الجانب الشيوعي ليقول للناس: إن البديل هو الليبرالية الرأسمالية ، ولكن فعلهم هذا كمن يحاول تجميل وجه قبيح ، أو إرجاع الشباب إلى عجز شمطاء ، فالغرب وإن كان فيه بقية من قوة وحيوية سينشبت بها وينفخ في نفوس أهله النزعة الاستعمارية المتأصلة ، إلا أن الخلل والانحطاط في الحضارة الغربية باد واضح للعيان ، إذن ما هو البديل العقائدي أو الفكري الذي يطرح نفسه في هذه الأيام؟.

إن الإنسان لا يستطيع العيش في فراغ ، لا بد من شيء يملأ جوانحه ، لا بد أن يعبد شيئاً ما ، وأصدق الأسماء على الإنسان كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «حارث وهمام» فلا بد له من هم يشغله ، وليس هناك سوى الإسلام .

وإذا كانت اليابان سترث الغرب اقتصادياً ومالياً ، كما يتوقع بعض كتاب الغرب المعاصرين، فإنها لا تستطيع أن تملأ الفراغ ، اليابان لا تملك فكراً متميزاً تقدمه للناس.

فهل يعي المسلمون خطورة مكانهم ومكانتهم ودورهم المهيأ لهم؟ وهل يستطيع المسلمون إعطاء صورة صادقة عن هذا الدين مما يجعل بعض النفوس التي أراد الله لها الهداية أن تقبل على الإسلام؟ إن الأخلاق الإسلامية العالية ، واتحاد الكلمة ووضوح الفكر ، من أكبر الأسباب التي تؤثر في هؤلاء الناس ، إنها فرصة متاحة لنشر الدعوة ، وتوعية المسلمين الذين كانوا مقهورين تحت الحكم الروسي أو الصيني ، وتوعية الجاليات الإسلامية في كل مكان.

وإذا كان الجهاد من أساسيات الدعوة ، فإذا انعقدت سوقه وفتح بابه فهو من أسباب إظهار قوة الإسلام وعظمته والتبشير به فكذلك إذا أتاح السلام في بعض المناطق فرصة للدعوة فيجب أن

تستثمر وتستغل كما حدث في صلح الحديبية حيث أعطيت فرصة كبيرة للمسلمين في التنقل وجلب أنصار جدد ، إن الفرص كثيرة ، والمهم هو أن يهتبلها المسلمون في الوقت المناسب .

من أعلام أهل السنة والجماعة عبد الله بن المبارك العالم المجاهد

د. محمد بن مطر الزهراني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد:
فان الله اصطفى من خلقه أنبياء ورسلاً ، وجعل خاتمهم أفضلهم ، وإمامهم محمداً -صلى الله عليه وسلم-، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، ودينه ناسخاً لما قبله .
ثم اختار لصحبته صفوة الخلق بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد كانوا - بفضل الله - جديرين بذلك الاختيار ، فحملوا الرسالة من بعده -صلى الله عليه وسلم- وكانوا أمناء على أدائها على الوجه الأكمل ، وكانوا المجتمع الأنموذج والتطبيق الفعلي لمبادئ تلك الرسالة ، ووسيلتهم في ذلك:

- ١- السلوك العملي الذي هو تطبيق لمبادئ الرسالة.
 - ٢- وتعليم الناس دين الله.
 - ٣- والجهاد لإعلاء كلمة الله.
 - ٤- والصبر على الأذى والمشاق في سبيل الله..
- فتخرج على أيدي هؤلاء الأئمة الأعلام تلاميذ نجباء كانوا على حمل الرسالة من بعد أشياخهم أمناء ، وهكذا خرَّج كل جيل جيلاً بعده يحمل الرسالة ويؤدي الأمانة ، وهذا من حفظ الله لهذا الدين الذي ختم به الأديان.
- وكان من يهتدي بهدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته من بعده ويسلك منهجهم في كل صغيرة وكبيرة يعرفون بأهل السنة والجماعة ، ومن هؤلاء أهل الحديث المشتغلون بالسنة النبوية وخدمتها قولاً وعملاً ، ومن خالف منهج الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام عرفوا بأصحاب الأهواء أو "المبتدعة" ، وكان على رأس هؤلاء الخوارج والروافض والجهمية والقدرية والمرجئة والمعتزلة وغيرهم من تلك الطوائف المنحرفة عن ذلك المنهج القويم.
- وكلمة أهل الحديث أصبحت علماً - في القرون الثلاثة المفضلة - على من اتصف بهذه الصفات:
- ١- الاشتغال بخدمة السنة النبوية سناً ومنتناً، حيث ظهر على أيديهم علم الرجال، وعلم مصطلح الحديث الذي امتازت به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم.
 - ٢- الالتزام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً ، عقيدة وعبادة معاملات وسلوكاً، سياسة واجتماعاً مع فهمها الفهم الصحيح على نهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام.
 - ٣- عدم تأويل آيات وأحاديث الصفات ، أو صرفها عن ظاهرها بغير دليل.
 - ٤- عدم تحكيم العقل والهوى في النصوص بدون دليل صحيح ، كما فعل المبتدعة من جهمية ومعتزلة وغيرهم ممن انحرف عن منهج أهل السنة والجماعة.
 - ٥- فضح أهل البدع والأهواء وبيان ضلالهم وانحرافهم وتحذير الأمة منهم ومن ضلالاتهم، كل ذلك نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين و عامتهم.

٦- الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وأن يكون الدين كله لله ، وذلك بالسنن والبيان، كما فعل سلفهم الصالح من الصحابة رض عنهم.

وقد وصف الحافظ ابن حبان في مقدمة صحيحه أهل الحديث ، فقال:

"... ثم اختار طائفة لصفوته ، وهداهم للزوم طاعته ، من أتباع سبل الأبرار ، في لزوم السنن والآثار ، فزين قلوبهم بالإيمان ، وأنطق أسنتهم بالبيان ، من كشف أعلام دينه وأتباع سنن نبيه بالذؤوب في الرحل والأسفار ، وفراق الأهل والأوطان في جمع السنن ورفض الأهواء ، والتفقه فيها بترك الآراء ، فتجرد القوم للحديث وطلبوه ، ورحلوا فيه وكتبوه ، وسألوا عنه وأحكموه ، وذاكروا به ونشروه ، وتفقهوا فيه وأصلوه ، وفرعوا عليه وبذلوه..." (١).

وسأعرض تحت هذا العنوان "من أعلام السنة والجماعة" نماذج من أولئك الأئمة الأعلام مبينا حسب الإمكان جهودهم العلمية والعملية في خدمة هذا الدين وتعلمه وتعليمه للناس ، لعل شباب الإسلام اليوم يجدون في الاقتداء بهؤلاء الأئمة ويحذون حذوهم فيحيون منهج أهل السنة والجماعة بين الناس ويكونون الأنموذج العملي لمبادئ تلك الرسالة كما كان أسلافهم من أهل القرون المفضلة. وأول ما أبدأ به من هؤلاء الأعلام إمام أهال السنة في خراسان في زمانه، وقدة المتقين في وقته، العالم الرباني المجاهد: عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن التركي الأب، الخوارزمي الأم ، ولد سنة ثمانين عشرة بعد المائة وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة (٢).

قال الإمام الذهبي: (... الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته ، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة ، سمع من هشام بن عروة ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وسليمان الأعمش ، وسليمان التيمي ، وحמיד الطويل ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وموسى بن عقبة ، ومعمر بن راشد ، وابن جريج ، ومالك بن أنس ، والثوري ، وشعبة ، وخلق كثير.

وروى عنه داود العطار وابن عيينة ، وأبو إسحاق الفزاري ، ومعتمر بن سليمان ، ويحيى بن القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله وهب ، وعبد الرزاق الصنعاني وخلق غيرهم " (٣).

مكانته العلمية:

قال الخطيب البغدادي: كان ابن المبارك من الربانيين في العلم الموصوفين بالحفظ ومن المذكورين بالزهد.

وقال عبد الرحمن بن المهدي: ما رأيت أعلم بالحديث من سفيان الثوري ، ولا أحسن عقلاً من مالك ، ولا أفشف من شعبة ، ولا أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك.

وقال الأسود بن سالم: كان ابن المبارك إماماً يقتدي به ، وكان من أثبت الناس في السنة إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه على الإسلام.

وقال سفيان بن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضل إلا بصحبتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وغزوهم معه.

وقال العباس بن مصعب: جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة. والسخاء والتجارة.

وقال أحمد بن حنبل: لم يكن أحد في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه (٤).

هذه شهادات أئمة عدول تبين لنا تلك المكانة العالية التي كان يحتلها هذا الإمام المجاهد ، والعالم الرباني بين علماء الأمة ، هذه المكانة لم يكن ينالها ابن المبارك لو أنه أثر أن يعيش كما يعيش غيره من الناس على هامش الحياة أثر الدعة والراحة على الجد والجهاد والتضحية والبذل..

بل كان همه رحمه الله وشغله الشاغل نصره هذا الدين وإعلاء كلمة الله، فكان يبذل في سبيل ذلك نفسه وماله وعلمه وصحته ووقته رحمه الله ورضي عنه.

جهوده في خدمة منهج أهل السنة والجماعة:

تلقى الإمام ابن المبارك هذا المنهج الصافي عن شيوخه من التابعين وهم تلقوه عن الصحابة رضوان الله عليهم ، فبذل رحمه الله في سبيل تأصيل ونشر منهج أهل السنة والجماعة كل غال ونفيس لديه ولقد كانت حياته كلها خدمة لهذا المنهج ، وتطبيقاً عملياً لمبادئ منهج أهل السنة والجماعة، وقد عبر عن ذلك الأسود بن سالم فيما رواه الخطيب بإسناده إليه قال: كان ابن المبارك إماماً يقتدى به ، وكان من أثبت الناس في السنة ، إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه على الإسلام(٥) . هكذا كان ابن المبارك ، وهكذا كان السلف الصالح كل حياتهم وحركاتهم وسكناتهم لدينهم الذي يدينون به لله لا مجال لغير ذلك في حياتهم كلها وليس في حياتهم مجال لازدواج الشخصية. وهذه نماذج من تلك الجهود التي قام بها ابن المبارك في سبيل تأصيل هذا المنهج والدعوة إليه:

أولاً: في مجال العقيدة:

كان لابن المبارك رحمه الله موقف من أهل البدع والأهواء ، وهو موقف المؤمن الواعي لما يدور حوله وما يحاك من الدس والتشويه والتحريف لعقيدة هذه الأمة عقيدة أهل السنة والجماعة، لذلك نجده يوصي أحد تلاميذه فيقول: ليكن مجلسك مع المساكين وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة(٦).

وهذه بعض مواقفه:

- روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب الرد على الجهمية بإسناده إلى ابن المبارك أن رجلاً قال له: يا أبا عبد الرحمن قد خفت الله تعالى من كثرة ما أدعو على الجهمية ، قال: لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء(٧).
- وأخرج الذهبي بإسناده إلى علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت ابن المبارك يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية(٧).
- وعنه أيضاً قال: قلت لعبد الله بن المبارك: كيف يعرف ربنا عز وجل قال: في السماء على العرش، قلت له: إن الجهمية تقول هذا قال: لا نقول كما تقول الجهمية: هو معنا هاهنا..(٨).
- قال الذهبي - معقبا - قلت: الجهمية يقولون: إن الباري في كل مكان ، والسلف يقولون: إن علم الباري في كل مكان ، ويحتجون بقوله تعالى: ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)) [الحديد: ٤] ، يعني بالعلم ، ويقولون: إنه على عرشه استوى ، كما نطق به القرآن والسنة.
- وقال الأوزاعي وهو إمام وقته: كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله تعالى فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تكيف ، فإن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات المقدسة ، وقد علم المسلمون أن ذات الباري موجودة حقيقة ، لا مثل لها ، وكذلك صفاته تعالى موجودة ، لا مثل لها(٨).
- وأخرج أبو نعيم في الحلية بإسناده إلى عمار بن عبد الجبار قال: سمعت ابن المبارك يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: الجهمية كفار ، والقدرية كفار ، فقلت لابن المبارك: فما رأيك؟ قال: رأيي رأي سفيان(٩).
- وفي كتاب السنة للإمام أحمد عن إبراهيم بن شماس قال: سمعت ابن المبارك يقول: الإيمان قول وعمل ، الإيمان يتفاضل(١٠)..

- وفي كتاب الصلاة لابن القيم عن يحيى بن معين قال: قيل لعبد الله بن المبارك: إن هؤلاء يقولون: من لم يصم ولم يصل بعد أن يقر به فهو مؤمن مستكمل الإيمان ، فقال ابن المبارك لا نقول نحن ما يقول هؤلاء ، من ترك الصلاة متعمداً من غير علة حتى أدخل وقتا في وقت فهو كافر (١١).
- وقوله هذا والذي قبله وما سيأتي هو رد على المرجئة القائلين: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

روى أبو عثمان الصابوني عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي - ابن راهويه - قال: قدم ابن المبارك الري فقام إليه رجل من العباد - الظن أنه يذهب مذهب الخوارج - فقال له: يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر ، قال: لا أخرجه من الإيمان. فقال: يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئياً ، قال: لا تقبلنا المرجئة ، المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة ، ولو علمت أنني قبلت منى حسنة لشهدت أنني في الجنة (١٢).

هذا هو موقف عبد الله بن المبارك من أصحاب البدع والأهواء المنحرفة إنه موقف العالم المجاهد العارف لدينه ، والناقد البصير لتلك المبادئ الهدامة التي يدعو إليها أصحاب الأهواء ، والمتيقظ لخطر تلك العقائد الدخيلة على الإسلام والمسلمين ، والتي أدخلها عليهم أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم- من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة، وما تؤدي إليه من فساد في الاعتقاد ، وفساد في الدين ، وفساد في الأخلاق.

إنه يتبرأ من عقائد الرافضة والخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية والفلاسفة ، ويبين فساد مقالاتهم ومذاهبهم ، وفيما نقلناه من النصوص عنه يصرح ببطان هذه العقائد المنحرفة.
ثم هو في أثناء ذلك لا يغفل عن بيان منهج أهل السنة والجماعة في الإيمان بالله بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم- ، والوقوف عند نصوص الكتاب والسنة والتسليم لهما، وعدم تقديم العقل عليهما أو تحكيمه فيهما ، وفي احترام الصحابة والترضي عنهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم ، وكان يحذر من الرواية عن من يسبهم رضى الله عنهم ، روى ذلك الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن علي بن شقيق قال. سمعت ابن المبارك يقول على رؤوس الناس: دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف (١٣).

الهوامش :

- ١- 85-84/1 - من مقدمة صحيح ابن حبان ، ط مؤسسة الرسالة
- ٢- سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٨ ، الطبعة الأولى..
- ٣- تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٢- ١٥٣ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة.
- ٤- انظر تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٦- ١٦٣ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٣٦- ٣٤٦ ، هذا وهناك أقوال كثيرة في الثناء وبيان مكانته أثرت الاقتصار هنا على أهمها وأجمعها
- ٥ - تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٧- ١٦٨ المكتبة السلفية بالمدينة.
- ٦- سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٣ ، ط الأولى.
- ٧ - سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٣- ٣٥٦ ، ط مكة المكرمة.
- ٨- سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٥- ٣٥٦ ، ط مكة المكرمة.
- ٩ - حلية الأولياء ٧ / ٢٨،
- ١٠ - كتاب السنة ١ / ٥٧ ، ط السلفية بمكة سنة ١٣٤٩ هـ.
- ١١ - كتاب الصلاة ٦٣ ط المكتب الإسلامي.
- ١٢ - عقيدة أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني / ٧٠

١٣ - مقدمة صحيح مسلم ١ / ١٦ ، وعمرو بن ثابت هو ابن أبي المقدم ضعيف رمي بالرفض مات سنة ١٧٢ هـ (التقريب / ٢٥٧) ط الباكستانية.

من قضايا العلم والتعلم حديث عن المقاصد

- ١ -

د. عبد العزيز القارئ

أول ما نفتح به الكلام عن العلم والبحث ، وقضايا التعلم والتعليم ومشكلات العالم والمتعلم: هو الحديث عن المقاصد ، وهو حديث ذو شجون ، وأي شئون المسلمين اليوم يخلو من الشجون؟ لم نتعلم؟ تحديد الهدف والمقصد في مجال العلم والتعليم هو المسألة الأولى، وعليها تبنى سائر المسائل، لأن كل شيء يصاغ على ضوء الهدف والمقصد.

العلم في الإسلام يجب أن يكون له هدف واحد فقط: وجه الله والدار الآخرة ، وعلى ضوء هذا الهدف يقال: إن المؤمن إنما يتعلم ليعرف الله ويعبده ليعمر الأرض بعبادته ، حتى عمارة الأرض هي وسيلة لعبادة الله ، فإذا أصبحت وسيلة لغير ذلك أو أصبحت غاية فقد فسد المقصد. بعضهم يجعلها غاية لأنه لم يفهم قوله تعالى: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) [يونس: ١٤] ، أو قوله تعالى: ((هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)) [هود: ٦١] ، ومعنى الآيتين: أن الإنسان جعل خليفة في الأرض ليعمرها بعبادة الله ، أما عمرانها المادي فهو وسيلة ، أي هو مطلوب بمقدار ما يخدم تلك الغاية ليس أكثر ، إذ لا يتصور أن يكون هدفاً شرعياً أن يضع حجر على حجر ، أو مدرأ على مدر إذا كان هذا لا يحقق غاية أخرى.

نقول هذا لنؤكد على أن الهدف المذكور هو لمجمل عملية العلم والتعلم مهما اختلفت مجالاتها ، لا نفرق في هذا بين علوم الدين وعلوم المدنية ، فإن ظاهرة "التمدن" أو "العمران المادي" تتطلب علوماً يلهث وراءها أكثر المتعلمين ، كما أن ظاهرة "التدين" تتطلب علوماً أخرى يسعى لنيلها آخرون.

مجمل التعلم والتعليم في هذا المجال أو ذاك يجب أن يدور حول ذلك الهدف ظاهرة التمدن أو "العمران المادي" لما انقلبت غاية بذاتها أصبحت مشكلة في حياة المسلمين ، لأنها أصبحت انحرافاً على ضوء ما قررناه آنفاً ، وهي المشكلة التي يعبر عنها أحياناً بـ "الترف".
المؤمن يعمر من الأرض بمقدار ما يعينه ذلك على عبادة الله وأداء فرائضه أي بمقدار ما يكره ومعنى يكره: أي يقيه مختلف الغوائل التي يمكن أن تعوقه عن عبادة الله أو تعرض حياته للهلاك وبمقدار ما يستر عوراته وحرماته عن الأعين ، هذا على مستوى الفرد والمجتمع ، وعلى مستوى المجتمع يضاف إلى معنى الإكنان شيء آخر: هو الحاجة إلى ما يعينه على أداء رسالته العالمية التي تلخص في كلمتين: الدعوة ، والجهاد.

أنا أعلم أن قلبي وهو يسطر هذه الحقيقة يبتعد كثيراً عن الواقع لأن واقع المسلمين في هذه المسألة ابتعد كثيراً عن المبدأ الإسلامي واقترب كثيراً من النظرة الإفرنجية للحياة ، و "الإفرنج" يتخذون "التمدن" غاية ، لأنهم اتخذوا الحياة الدنيا نفسها غاية ، فهم لا يعرفون الله ، ولذلك لا يبنون شيئاً للآخرة ، ((وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)) [الروم: ٧] ، إنما يبنون لحياتهم الدنيا فقط.

لهذا فإن عملية التعلم والتعليم في ظلال هذه النظرة " الإفرنجية " يكون هدفها منقطع الصلة بالآخرة.

لو سألت هذه الآلاف المألفة المحتشدة في الجامعات: لماذا تتعلمون؟ فكم منهم من يتذكر عبادة الله وكم منهم يذكرك بالآخرة؟ تأمين المستقبل الوظيفي هو هدف السواد الأعظم ، ولا يلزم أن يصرح بذلك بلسان المقال ، فلسان الحال يهتف به.

أما على مستوى التخطيط العام في المجتمع فالهدف اكثر بريقا ، لكنه يحمل نفس المعنى. الإسهام في عملية بناء الوطن ، والمقصود الأول البناء المادي ، فهو الذي يستغرق معظم برامج خطط التنمية ، وهذه الخطط تخضع لها كل الجوانب بما فيها العلم والتعلم.

لم أسمع في أي بلد من بلاد المسلمين أن خطة التنمية فيها وضعت لتحقيق عبادة الله عز وجل ، قد يسخر منك المخططون!! تضع خطة خمسية أو عشرية لتحقيق عبادة الله؟ هل هذا يحتاج إلى خطة؟ ((إن تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ)) [هود: ٣٨] ، نسخر من هؤلاء الذين تدور حياتهم وخطتهم وبرامجهم وعلومهم وتعليمهم حول نفسها ، تخططون من أجل الحياة؟ والحياة من أجل ماذا؟ فلماذا لا تختصرون الطريق وتتخلصون من عقدة هذا الانحراف إلى النظرة " الإفرنجية " فتخططون

الحياة من أجل الذي وهبكم الحياة ، وهو قد صرح في كتابه أنه إنما وهبكم الحياة لتعبده: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)) [الذاريات ٥٦ - ٥٨] ، لو جعل المخططون والمبرمجون الأساس والمنطلق هو هذا ؛ كم تتغير خطتهم وبرامجهم.

من المؤسف جداً أن نقول: إن فساد العلم والتعليم في حياتنا بدأ بفساد المقاصد ، فإذا عدنا إلى مجال علوم الشريعة نجدها أصق من غيرها بذلك الهدف. ابتغاء وجه الله والدار الآخرة. ليست علوم الشريعة إنما يتطلبها مبدأ "التدين"؟ وهذا المبدأ في النفوس كلها فطرة الله الناس عليها ، فهذا هو روح التدين: ابتغاء وجه الله والدار الآخرة. فانظر كيف يكون قبح الانحراف عندما تتخذ علوم الشريعة وسيلة لغير هذا الهدف ، أي عندما تفسد النية ويفسد المقصد.

إن هؤلاء الذين اتخذوا علوم الشريعة مطية لتحقيق الرغبات الدنيوية والشهوات الأرضية أقبح انحرافاً وأسوأ ذنباً من أولئك الذين اتخذوا علوم التمدن مطية لذلك ، لأن علوم الشريعة أصق بذلك الهدف الشرعي من علوم المدنية.

تصور واحداً يتعلم كيف يخبز ويعجن لإشباع شهواته وليس ذلك أخف قبحاً ممن يستعمل الحديث والفقهاء من أجل الشهوات نفسها؟! كلاهما منحرف ، لكن الوعيد لهذا أشد من الوعيد لذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» (١).

أما كيف يقع طلاب علوم الشريعة في فساد المقاصد ، فإذا بهم يتعلمون مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمونه إلا ليصيبوا به عرض الدنيا فإن لذلك عوامل كثيرة من أهمها:

١- ضغوط المجتمع الفاسد من حولهم:

طلاب علوم الشريعة جزء من المجتمع ، فهل تكتب لهم النجاة والسلامة مما أصاب الكل من تلف وفساد؟

المجتمع بمجموعه يلهث خلف الحياة الدنيا، إنه متشبث بها، والقلوب متعلقة بزينتها، لا يكاد يسلم قلب منها-إلا من رحم الله-، ومن شدة تعلق القلوب بشهوات الدنيا وزينتها أصبح هذا التعلق عبادة ، وأصبحت هذه الشهوات آلهة تعبد من دون الله. إليكم الدليل:

قد يجترئ زنديق على المساس بجناب الشرع والدين ، وفي بعض بلاد المسلمين تصل الجراة بالزنادقة إلى حد المساس بجناب الألوهية -ألوهية الله عز وجل - ، ومع ذلك لا يتحركون!! المسلمون لا يتحركون حتى لو شتم الله تعالى، قد يتململون، يستنكرون بقلوبهم ، أحيانا بألسنتهم - على استحياء- ، لكن لا تصل قوة الدافع إلى الدرجة التي تحركهم ، وتدفعهم إلى التعبير المؤثر عن غضبهم.

سبحان الله! ما هذا الذي أصاب الأمة الإسلامية؟! هذا الشلل في العواطف ، في الإيمان ، في العقول ، مرض خطير كيف أصيبت به هذه الأمة؟!.

أما إذا أحسوا أن شهوة من شهواتهم ستعاني من الحرمان -خاصة شهوة البطون- لو اعتدى على جنابها فالويل ثم الويل لمن يمس جنابها يتحركون "غريزياً" وينفجرون.. الأمثلة على ذلك كثيرة في جميع بلاد المسلمين.

في بلد أفريقي مسلم ، الإسلام فيه عريق ، كم خرج للأمة من علماء ، ثم لما أصيب بالمرض تحكم في مصيره طاغية خبيث ، من جرأته واستخفافه بعواطف الأمة التي يحكمها ، واستخفافه بإيمانها ودينها أغلق الجامعة الوحيدة الإسلامية فيها ، وبقيت مغلقة ثلاثين عاماً ، ثم أسقط الصيام عن العمال ، وبدأ يدخله الزهو والكبرياء بل بدأ يتوهم أنه أصبح إلهاً، يفعل ما يفعل والشعب يرضخ ولا يقول شيئاً ، لا يعترض ولا يتململ لماذا لا يتململ؟- لأنه مشلول ، توهم ذلك الطاغية أنه إله فتحدى الإله الحقيقي.

سأله مرة صحفي إيطالي: أتؤمن بوجود الله يا فخامة الرئيس؟ أجاب: إذا كان الله موجوداً فسيغفر لي شاء أم أبى.

وقرأ ذلك الشعب هذا الكفر الشنيع ، بل قل هذا الاستخفاف الشنيع بعواطف الشعب ومقدساته، قرأوا هذا الكلام ولم يتحركوا، ولو حركة عفوية، فإنها كانت على الأقل تدل على أن ذلك الشعب موجود لم يمت ، لكنه لم يتحرك ، لأنه وإن كان موجوداً فقد كان مشلولاً ، واستطاع ذلك الطاغية أن يجثم على صدر هذا الشعب المسلم ثلاثين عاماً ، أي والله ثلاثين عاماً ، وبعد هذا العمر الطويل تحت ذل طاغية زنديق تحرك ذلك الشعب ، ولكن احتجاجاً على رفع أسعار الرغيف!!.

وفي بلد آخر اعتدي على جناب الدين في صفحات المجلات ، وفي المسرحيات ، وفي ما مكنهم من وسائل الإعلام ، حتى سخروا من مقام النبوة ثم صوروا سيدنا ونبينا محمداً بصورة ديك، ثم انقض فرعون ذلك الشعب المسلم على نخبة من العلماء والشباب المسلم فصلبهم ونكل بهم ، بينما الشعب يتفرج ، ولا يتحرك ، كأنما هو مكبل موثق بالحبال ، ولكني رأيتة بنفسه عندما ثار فجأة كيف فعل، لقد أصبحت العاصمة خلال بضع ساعات كأنها أطلال محترقة من التدمير، لقد انطلقت الجموع تدمر كل شيء، ما هذا الذي أشعلها وأطلقها من عقالها؟ الحاكم بأمره العصري أمر برفع

أسعار الخبز والشاي والبقول!!!.. لا أريد التشنيع على هذه الشعوب ، فإنها شعوب مسلمة لها تاريخ - وأي تاريخ - ، ولا أريد بعث اليأس والقنوط في نفس أحد ، فإن كل متبصر يعلم ماذا يمكن أن تفعل هذه الشعوب المسلمة ، لو انطلق دافع الإيمان في القلوب ، أو لو برئت تلك الشعوب من ذلك الداء العضال ، داء الشلل..

ولكن متى تشفى من هذا الداء العضال المزمن؟ الطواغيت الذين سلطوا على رقاب هذه الشعوب المسلمة يتواصى كل منهم برعاية هذا الشلل، وبتدمير أي محاولة لعلاجهم، وبذلك أصبحت مهمة الإصلاح تتطلب جهوداً قوية ثابتة دائبة طويلة قد تستمر أجيالاً، المهم أن تكون منظمة على منهج سليم ، وسائرة على طريق مستقيم. وهل هناك إلا المنهج النبوي. والطريق القرآني؟.

إذا كان هذا هو حال الشعوب المسلمة والمجتمعات المسلمة فكيف يكون حال طلاب علوم الشريعة؟ الموقف الطبيعي أنهم ما داموا يعيشون في كنف المجتمع وهم جزء منه أن يتأثروا به ، أو يؤثروا فيه ، ولكي يقدرُوا على التأثير فيه عليهم أن يتحرروا من تأثيراته السيئة المرضية ، وكيف يمكنهم ذلك؟ من هنا جاءت الحاجة الضرورية إلى البديل ، على هؤلاء أن يبحثوا عن البديل الذي يلجئون إليه فراراً من الواقع الفاسد.

لا بد أن يؤمن لهم مناخ تتوافر فيه الصحة والسلامة من عوامل التلف والشلل الذي أصاب المجتمع الكبير، فإن لم ينشأ لهم هذا البديل ، فالموقف الطبيعي الذي تمليه سنن الله في خلقه أن ينشئوا هم البديل بأنفسهم.

وإنه لمن المستغرب أن يكون هناك عاقل يفضل إغماض عينيه ودس رأسه في الرمال ، فتراه يعيش في وهم الانتظار: انتظار أن يرق قلب الطاغوت فيفضل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وربما بالغ بعضهم في أوهامه فتوقع أن يرفع الطاغوت راية الجهاد ضد الزنادقة والكفرة والملحدين. إن كان هؤلاء لا يدرون فتلك مصيبة ، وإن كانوا يدرون فالمصيبة أعظم، هي سنن الله في خلقه لن تجد لها تديلاً، أن الكافرين وعلى رأسهم الطواغيت لا يعبدون ما نعبد، أفيبدل الله سننه من أجل جيل من الكسالى يدسون رؤسهم في الرمال، مع أنه سبحانه لم يبذل سننه من أجل نبيه وخليفه ومصطفاه محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ لا مطمع في ذلك.

من عليه إذن أن يتولى تهيئة هذا المناخ ، حتى يأوي إليه طلاب علوم الشريعة؟

الهوامش :

١ - رواه احمد ، وأبو داود ، وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه ، كلهم في حديث أبي هريرة .

نقد

قراءة في فكر مالك بن نبي

- ٥ -

محمد العبدية

الإقلاع باتجاه حضارة:

التوتر الروحي ، أو الإيمان العميق بالمبدأ الذي يعتنقه الإنسان ، والاندفاع فيه والحماس له حتى يأخذ عليه مجامع نفسه ويملك عليه قلبه ، هو بداية الإقلاع عند مالك بن نبي كما ذكرنا في نهاية المقال السابق ، فلكي نبني حضارة ، أو نعيد دورة الحضارة لا بد أن نصل إلى هذا المستوى من الاندفاع في تطبيق الإسلام..

يجب أن تعود شبكة العلاقات الاجتماعية لتربط العوالم الثلاثة (الأشخاص، والأفكار، والأشياء) والمقصود بشبكة العلاقات هو القدرة على التعاون والتنسيق بين هذه العوالم الثلاثة واستخدام الأفكار والأشياء في محلها -المطلوب منها، والأخلاق العالية التي في ظلها يستطيع المجتمع إنتاج حضارته، والمؤاخاة الحقيقية هي إحدى الدعائم الرئيسية للإقلاع، فالطاقة الروحية التي دفعت سعد بن عبادَةَ لأن يقول: "يا رسول الله خذ من أموالنا ما شئت، وما أخذته منها أحب إلينا مما تركت" هي التي جعلت الصحابة يحفرون الخندق حول المدينة بأدوات بسيطة، وبأيام قليلة، وهي التي كانت وراء اعتراف المرأة الغامدية، وهي تعلم أن عقوبة اعترافها هو الرجم بالحجارة، وعندما تاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فرح المجتمع الإسلامي بأسره، فهو مجتمع متماسك وشبكة العلاقات فيه قوية.

هذه الطاقة ضرورية للبدء، لأن المسلم الآن قد لا يؤثر بالوسط المحيط به بقدر ما يتأثر هو بهذا الوسط (١).

في المجتمع الإسلامي الأول كانت شبكة العلاقات الاجتماعية على أعلى المستويات، وعندما أفل نجم هذا المجتمع في القرون المتأخرة كان مجتمعاً مليئاً بالأفكار (الكتب والمكتبات) ومليئاً بالأشياء، ولكنها لم تغن شيئاً لأن شبكة العلاقات كانت قد تمزقت وأصبح عالم الأشخاص عاجزاً عن أي نشاط مشترك، وهذا هو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم- عندما قال: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل" (٢).

كيف نعيد الفاعلية للمسلم؟ كيف نؤلف بين العوالم الثلاثة (الأشخاص والأفكار والأشياء) بانسجام وتوازن؟ كيف نعالج أكبر مرض يصيب العلاقات الاجتماعية ألا وهو مرض حب الذات أو تضخم (الأنا) عند الفرد؟.

- لا تعود الفاعلية للمسلم إلا بعودة ذلك الاندفاع في سبيل إقامة المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، ووضع طاقات الفرد في أحسن حالاتها، وفي أقصى توترها، وهذا معنى قوله تعالى ((يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ))، وأحسن حالاتها أن توضع الطاقات بين حَدِّي الوعد والوعيد، بين الخوف والرجاء، فلا يأس من روح الله، ولا أمن من مكر الله، وأن تتناسب مع التحدي المفروض عليها فلا هو أكبر منها فتشعر باليأس، ولا هو أصغر منها فتتساهل وتسترخي ولا تقوم بالجهد المطلوب.

جاء الإسلام فوضع طاقات العرب في موضعها المناسب، فالكرم والشجاعة في الجاهلية كانا للفخر والاعتزاز، فوضعها الإسلام في سبيل مبدأ، في سبيل الله، فالبطولة أصبحت مبرراتها في عالم الآخرة ولم تعد تدور حول (الأنا) (٣).

إن المجتمع لا يتكون من (كومة) أفراد، بل بعلاقات معينة بين هؤلاء الأفراد، وإذا أخذنا نموذجاً من عالم الحيوان فسنجد أنه كلما تعقدت المصلحة كلما كانت الفاعلية أكثر، هناك حيوان يعيش بمفرده، بعيداً عن نظام الأسرة، ونشاطه يسد فقط حاجات بيولوجية بسيطة، فإذا نظرنا بعد ذلك إلى حيوان يعيش في مستوى أعلى من هذا، فإننا نرى العش الذي يبنيه الطير يعطي صورة للنشاط الاجتماعي في مستوى أرقى، ولكنه دون مستوى الحيوان الذي يعيش في نظام أوسع نطاقاً من الأسرة كالنحل، فإننتاجه هنا يتسم بالفاعلية في صورتين: مادية ومعنوية، فمن الناحية الأولى نرى أن نشاط النحل ينتج أكثر من حاجات سربه، ومن الناحية المعنوية نرى أن هذا الإنتاج

يفرض على خليته حياة منظمة خاضعة لقوانين معينة، نجد في هذا المجتمع البسيط ظاهرة تقسيم العمل، وقد تزيد مهامها على عشرة أنواع من العمل(٤).

إن الفرد في المجتمع الإسلامي، وبسبب ضعف العلاقات الاجتماعية لا تقدم له الضمانات والمبررات التي تجعله يقدم أقص طاقاته، وكيف يقدمها وهو يرى الأنانية والتنافس البغيض، وقلة التشجيع، والأهم من ذلك هو عدم وجود الخبرة الكافية في العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية في مستوى الفرد وفي مستوى المجتمع(٥) إن الذي يخطط للنهوض بالمجتمع الإسلامي يجب أن يكون لديه أفكار. جد واضحة عن هذه الأمور، كما أن عليه أن يكون خالياً من العقد البيروقراطية التي تنتاب الموظف، ومن أخلاق المغرمين بتملق الرأي العام(٦) فعملية بناء كيان اجتماعي ليس بالأمر السهل، لأن العقد النفسية كما يؤكد العالم الأمريكي (مورينو) هي في العلاقة بين الأفراد فيما بينهم وليس داخل الفرد كما يقول (فرويد) (٧) وكل علاقة فاسدة بين الأفراد. تولد فيما بينهم عقداً كفيفة بأن تحبط أعمالهم الجماعية (٨) فالذين يستطيعون ربط العوالم الثلاثة في توافق واتزان هم الذين يستطيعون تحريك القوى جميعاً في حركة دائمة الصعود ، وهذا بطبيعة الحال لا يأتي إلا عن صف وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه ((كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوفٌ)) (٩).

توجيه الثقافة:

في هذه المرحلة المهمة من البناء يرى مالك بن نبي أنه لابد من توجيه أمور ثلاثة:

١ - الثقافة.

٢ - العمل.

٣ - رأس المال.

فالانتقال من حالة الجمود إلى الحركة باتجاه حضارة لا يحتمل التجارب الفاشلة ، والمسلم بسبب عقدة تخلفه يظن أن تخلفه يتمثل في نقص ما لديه من (أشياء) ولا يرده إلى الأفكار (١٠) بينما الحقيقة أن النشاط يصاب بالشلل عندما يدير ظهره للفكرة ، كما أن الفكرة تصاب بالشلل إذا ما انحرفت عن النشاط ، ونحن لا نستطيع بصفة عامة أن نعتبر عدد الكتب التي تخرجها المطبعة في عام دليلاً على الصحة العقلية في بلد معين ، فلا بد من برنامج لتوجيه الثقافة (١١).

يعرف مالك بن نبي فكرة (التوجيه) فيقول: " قوة في الأساس وتوافق في السير ، ووحدة في الهدف ،فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتلها ، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها ، حين زحمتها قوى أخرى فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت ، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم هو أن ندبر هذا الجهاز الهائل في أحسن الظروف الزمنية (١٢)

توجيه الثقافة:

الثقافة مصطلح حديث النشأة وهي مرادفة لكلمة (Culture) الإنكليزية ، ويستخدمها كثير من الناس بمعنى (العلم) ولكن مدلولها أوسع من العلم، وقد عرفها مالك بن نبي بأنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"(١٣) فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ، وهي المحيط الذي يعكس حضارة معينه ، والتعلم جزء من الثقافة ، وعندما يصبح الهدف هو الحصول على شهادات فنحن بإزاء مرض اسمه (التعاليم) ونحن قد نجد رجلاً يحمل

شهادات عالية ولكن ليس عنده فعالية وقدرة على حل المشكلات ، بينما نجد رجلا آخر مثله في بلد آخر عنده هذه القدرة بسبب الثقافة التي تلقاها منذ صغره ، فالثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة ، هذه الثقافة كيف نوجهها؟ كيف نركبها من أجزائها حتى تؤتي ثمارها؟ الشرط الأول لتحقيق مشروع ثقافي هو الصلة بين الأشخاص ، وهاهو القرآن يعطينا فكرة عن أهمية هذه الصلة ((لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ)) فأساس كل ثقافة هو بالضرورة (تركيب) و (تأليف) لعالم الأشخاص طبقا لمنهج تربوي ، أي أننا نريد للثقافة أن تكون وظيفة ، لبناء جيل مسلم تقوم على أكتافه الحضارة الإسلامية " فالتعليم الفرنسي في الجزائر لم يمنح الجيل الجزائري الفعالية لأن الثقافة لا تشكل على مقاعد الدراسة ، و لكن ضمن مجموع الإطار الاجتماعي الثقافي الذي يحيط بالفرد ، والمدرسة عامل مساعد من عوامل الثقافة ، ولكننا نخطئ في تقدير وظيفتها عندما نعتقد أن في إمكانها أن تحل مشكلة الثقافة وحدها" (١٤).

العناصر اللازمة للثقافة:

في مجال توجيه الثقافة لابد من التحديد السلبي أو تصفية أسباب التدهور والانحطاط ، ثم يأتي بعد ذلك التحديد الإيجابي ، وإذا كانت عملية التصفية قد قام بها البعض أو أنه من السهل القيام بها ، فإن التحديد الإيجابي لعوامل الثقافة هو المهم ، والعناصر التي يؤكد عليها مالك بن نبي هي:

- ١ - عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية.
- ٢ - عنصر الجمال لتكوين الذوق العام.
- ٣ - منطوق عملي لتحديد أشكال النشاط العام.
- ٤ - التقنية أو (الصناعة) حسب تعبير ابن خلدون.

أولاً - توجيه الأخلاق:

ونعني بالأخلاق: قوة التماسك اللازمة للأفراد ، هذه القوة التي استطاعت بناء المجتمع الإسلامي الأول ، حتى كان الرجل يعرض على أخيه المناصفة في كل شيء ، وبعض هذه الأخلاق كانت من أسباب بناء المدنية الغربية ، والشباب اليوم ينظرون إلى هذه المدنية في يومها الحالي ويضربون صفحاً عن أمسها الغابر ينسون أنه لولا صلات اجتماعية خاصة ما قامت هذه الصناعات ولما قام هذا العلم ، ونظرة إلى جامعة من جامعاتهم ترىنا أن أساسها كان دينياً قامت به جمعية خيرية دينية ، بل إن كلمة دين عندهم (Religion) تعني في أصلها اللاتيني الربط والجمع(١٥).

ثانياً - المنطق العملي:

إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة أو العقل المجرد، فهذا متوفر فهي بلادنا، ولكن ينقصه منطق العمل والحركة ، كيف يصرف المسلم وقته؟ كيف ينفق أمواله؟ كيف يستغل علمه؟ مع الأسف إن جزءاً كبيراً من حياتنا يذهب عبثاً ، فالمسلم أحياناً لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاماً مجرداً، بل أكثر من ذلك، فهو أحياناً يبغض الذين يفكرون تفكيراً مؤثراً، ولننظر إلى الأم التي تربي ولدها فهي إما أن تبلده بمعاملة وحشية ، وإما أن ترخي له العنان وتتميع معه ، إن الوهن والسخف يطبعان منطق قولها(١٦).

ثالثاً: الذوق الجمالي :

إذا كان المبدأ الأخلاقي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات ، فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته ، وهو شيء مطلوب فوق الضروريات والحاجيات ، وعندما ذكر الله سبحانه وتعالى خلق النجوم وغاياتها ذكر منها (الزينة) ((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا

رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ)) وكذلك عندما ذكر خلق الحيوانات ((وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)) وقد ورد في الحديث «إن الله جميل يحب الجمال» وذلك في معرض رد الرسول صلى الله عليه وسلم- على الصحابي الذي سأله عن اللباس الحسن والنعل الحسن هل هذا من الكبر فالذوق الرفيع من العناصر الإيجابية في الثقافة ، فالتناسب والتناسق في الأشكال والأشياء يعطي للإنسان راحة نفسية ، والمنظر القبيح المتنافر لا يوحي بأي خيال جميل ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم- من أزهد الناس ولكنه كان ينفرد من ألوان معينة ، ويشجع الناس على النظافة والاهتمام بالمظهر الحسن وخاصة في المساجد وأيام الجمع والأعياد.

إن تربية الذوق الحسن في الأمة هو جزء من ثقافتها ومؤشر على درجة ثقافتها.

رابعاً - الصناعة أو (التقنية):

عرّف ابن خلدون الصناعة بأنها: ملكة في أمر عملي فكري (١٧) وهذا تعريف دقيق لما يسمى الآن (التقنية) فهي تحتاج إلى العلم والممارسة اليدوية حتى ترسخ مع الزمن وتصبح (ملكة) كما عبر عنها ابن خلدون ، وهذه الصناعة لا تكون إلا في مجتمع متحضر ، لأن المجتمع البدائي يحتاج إلى أمور بسيطة لا تحتاج لتقنية ، فوجودها يدل على درجة التحضر والعلم ، فلا بد أن يكون في المسلمين فئة تتقن هذه (الصناعة) وتبدع فيها مما يناسب الإسلام والحضارة الإسلامية، وتبتعد عن شرور سيطرة (الألة) على الإنسان، وهذا يحتاج لمجلس للتوجيه الفني ليحل نظرياً وعملياً المشكلة الخطيرة للتربية المهنية تبعاً لحاجات البلاد(١٨).

وإن الإمكانات في البلاد الإسلامية لتسمح بتكوين القيادات التي تشرف على طريقة تنفيذ هذه (التقنية) وأن تخضع لثقافة المسلم وذوقه المتميز . هذه العناصر التي يرى الأستاذ مالك بن نبي أنها من مكونات الثقافة وأنها تحتاج لتوجيه معين لاشك أنها تصلح لكل مجموعة بشرية أو لكل أمة تبحث عن ثقافتها الخاصة ، وكان مالك استلهم هذا التحديد من علماء الاجتماع والحضارات في أوروبا ، وكان الأولى أن يذكر زيادة على هذا العناصر الخاصة بالثقافة الإسلامية، إن عنصر الأخلاق مثلاً أو الذوق الجمالي يتبعان عقيدة المسلم وتصوراته الخاصة ، فهل يقال للمسلم يجب أن يكون عندك ذوق في الموسيقى أو النظر إلى فن التصوير؟! لاشك أن للمسلم خصوصياته في هذا المجال...

** يتبع **

الهوامش:

- (١) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع/١٠٥.
- (٢) سنن أبي داود ١١١/٤.
- (٣) تأملات/٣٨.
- (٤) المصدر السابق/٣٢.
- (٥) ميلاد مجتمع/٧٢.
- (٦) المصدر السابق/١٠٧.
- (٧) المصدر السابق/٤١.
- (٨) ميلاد مجتمع/٤٢.
- (٩) المصدر السابق/٧٠.
- (١٠) مشكلة الثقافة/٧١.

- (١١) المصدر السابق/٦٧ .
 (١٢) شروط النهضة/١١٧ .
 (١٣) مشكلة الثقافة/٧١ .
 (١٤) آفاق جزائرية/٩٩ .
 (١٥) شروط النهضة/١٣٤ .
 (١٦) السابق/١٤٧ .
 (١٧) مقدمة ابن خلدون ٩٣٥/٢ .
 (١٨) شروط النهضة/١٤٩ .

من واقع العمل الإسلامي رؤية نقدية

صالح علي بن الكناني

إن الناظر في مسيرة العمل الإسلامي خلال السنوات الأخيرة ، يدرك الحال التي بلغها بعض الدعاة والأتباع ، حتى أراحوا أعداء الإسلام ، ووفروا عليهم كثيراً من الجهود ، في تفريق الكلمة ، وإلقاء بذور العداوة والشقاق بين المسلمين ، وهذا هو التفسير الظاهر لتأخر النصر عن المسلمين ، بل وتتابع الهزائم عليهم كل في كل حين .
 ولقد يتهمني البعض بالتشاؤم والغضب من الصحو المباركة التي تبدو في كل أرجاء بلاد المسلمين ، فأقول: مهلاً رعاك الله! ولا تعجل على وتأمل كلامي بعين متجردة ، وبصيرة نافذة ، فما كان فيه من حق وصواب فما أحراك بقبوله ، وأنت المسلم الذي تعبدك الله باتباع الحق وقبوله، وما جانب الصواب من قول فارده عليّ ، وأرشدني إلى الحق فمثلك من نصح الله وكتبه ولسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، واعلم أنني ما أردت إلا خير هذه الأمة ، فإن وفقت فمن الله وحده التوفيق ، وإن غير ذلك فالنفس الأمارة ، والشيطان المضل ، ((وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ)) [الأحزاب: ٤] ، وقد لمست في هذه المقالة بعض مواقع العمل الدعوي الإسلامي ، ولم أخط بجميعها علماً ولا بياناً ، فأول هذه المواقع:

١ - التحزب والحزبية:

إن كل من دعا إلى الله على بصيرة ، مخلصاً القصد لله تعالى ، مسلماً لله بالغلبة والتمكين والفلاح ((وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)) [المائدة: ٥٦] ((أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [المجادلة: ٢٢] فلا نكران إذن لمبدأ التجمع على الحق، بل هو ركن أساسي في العمل الدعوي الإسلامي ، لا يحتاج في تأصيله إلى كبير بحث واجتهاد ، ولا يفقد من الأمة في كل عصورها وأطوارها ، إلا حين لا يوجد للمسلمين جماعة ولا إمام ، حين تعم البدع والأهواء والنحل المضلة ، في فترات الضياع والفتن الكبرى ، حين يغيب الحق ، ويندرس الشرع ، عندها يكون المسلم المتمسك بالهدى الرباني هو وحده " حزب الله " .

ومن العجيب أن بعض المنتسبين إلى العلم ، أصبحوا يفتنون الناس بعدم شرعية الانتماء جماعة إسلامية ، بعدم شرعية وجود الجماعة الإسلامية أصلاً ، ولو أنهم أفتوا بحرمة التعصب لجماعة

بعينها، لها يوالي المسلم وعليها يعادي ، لكان لفتواهم قبولاً ووجاهة ، وماذا يصنع هؤلاء بمناهج الدعوة في القرآن الكريم ، وطرائق الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وأحاديث الطائفة الناجية المنصورة ، ألم يجدوا في كل ذلك ما يبرر قيام جماعة إسلامية تدعو إلى الله على بصيرة ، وهل كل هذا جهل بهذه الأصول؟
أيحل لكل الدعوات الأرضية، ولكل أعداء الأمة المحمدية ، تكوين التنظيمات الدقيقة، ويمنع هذا عن الأمة الربانية؟.

أحرام على بلبله الدوح حلال للطير من كل جنس؟

إن تناصر المسلمين ، وتآزرهم وتعاونهم على البر والتقوى ، وقيامهم بأمر الله جماعة وفرادى، أمر لازم - لانتصار دعوتهم ، وإقرار منهجهم في الأرض ، وإنما المرفوض كل الرفض هو هذه الفرقة الحادثة بين المسلمين ، المرفوض أن تقوم جماعة فتدعي أنها وحدها على الحق ، أو أن الحق لا يخرج عنها ، ثم تغرس هذا في أذهان أتباعها ، وتضع لهم شارة خاصة ، اسماً أو معنى ، ثم توالي محليه وتعادي ، وتكرس لدى أفرادها أن "من لم يكن معنا فهو علينا" وهذه والله حزبية بغیضة ، ليست من حزب الله الكامل ، بل هي إلى النوع الآخر أقرب ، النوع الذي قال الله فيه: ((فَنَقَطُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)) [المؤمنون: ٥٣] ، وحين تصبح الحزبية تسير على هذا المنحى تكون علة ومرضاً سرطانياً ، تجب مقاومتها واستئصالها ، ((حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)) [البقرة: ١٩٣] ، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين نبه إلى هذا المزلق الخطير ، الذي يفضي إلى تمزيق الأمة الواحدة ، ويعصف بكيانها ، ويقود إلى فنائها وضمحللها ، فها هو يقول.
"وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم ، والحب والبغض ، والموالات والمعاداة، والصلاة واللعن ، بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك: مثل أسماء القبائل ، والمدائن ، والمذاهب ، والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ...". [الفتاوى ٢٨ / ٢٢٧].

كيف لو أدرك ابن تيمية زماناً لا يقبل فيه الحق والنصح إلا إذا جاء من فرد منتسب إلى الجماعة المنصوحة ، أما إذا جاء الحق والنصح من خارجها رُدَّ على قائله ولو كان من أبر الناصحين؟ وكيف لو أدرك زماناً أصبح اسم الجماعة فيه مقدساً أعظم تقديس؟!.

٢ -- التآثر السياسي:

لقد كتب على أمة الإسلام في الأزمنة المتأخرة أن تعيش قطعاناً متفرقة ، لكل قطيع حظيرة تخصه دون سواه ، وأطلق على هذه الحظيرة اسماً "وطنياً" يفصلها عن غيرها ، وحددت هذه الحظيرة بحدود سياسية ، وأرضع الأطفال حبها مع لبن أمهاتهم ، ولقنوا قبل محبة الله ورسوله محبة الحظيرة ، وألفت الأناشيد التي تشيد بالحظائر وبنعيم العيش فيها ، وهذا الوضع المؤلم ألقى بظلاله على كثير من الدعوات في الجملة وفي الفروع ، فصارت دعوات قُطرية ، إذا حاضر علمائها الناس حاضرهم عن الدعوة ضمن حدود الحظيرة ، أهدافها وسماتها ومشكلاتها وملاحمها... ، وقليل هم الذين ينطلقون. من عالمية هذا الدين ، وشمول الرسالة الإلهية لكل الناس والأزمان والأوطان ، - حتى أفتى بعض هؤلاء المتأطرين بأنه لا يجوز أن تكون الدعوة إلا من المسجد: منه تبدأ وإليه تعود ، ونحن لا ننكر دور المسجد وأهميته ، ولكننا لا ننكر أيضاً أنه قد عطل دور المسجد في بعض البلاد ، حتى أصبح من يقصده للصلاة فقط، عرضة للقتل والسجن والتشريد والتعذيب ، أفنجد دور "دار الأرقم بن أبي الأرقم" في مثل هذه الظروف؟ وننسى ما يعيشه إخوان لنا من حولنا، هذا عن بعض الدعاة والمشايخ ، فماذا عن الصحف الإسلامية والكتب الدعوية؟ لم يسلم شيء منها من هذه القطرية-

إلا من رحم ربك ، وقليل ما هم - وهذا في نظري من أعظم مكاسب النظم التي يسوؤها أن يسود الدين ، وأن تعود الأمة إلى وحدتها وقوتها .
وإذا كان البعض ينتمي إلى لافقات كبيرة لا تختص بوطن معين ، ولكن مدلولها بقي ضعيفاً لأن نفس المرض يعترئها وهو التعصب للأشخاص والأسماء ، ومبدؤها الذي رفعتة: "سلمني رايتك" يخرب عليها التعاون والالتقاء على كلمة سواء ، وكان الأمثل هو قبول مبدأ الحوار والتأصيل، وإذن لتكونت جبهة عريضة من أهل الإسلام يحسب العدو لها ألف حساب.

٣- تشتت المناهج العلمية والتربوية:

مما يزيد في فرقة المسلمين ، وتباين الجماعات التي تربي كل جماعة أفرادها عليها ، حتى أصبح بإمكان الناظر في هؤلاء الأفراد أن يميز بين أتباع جماعة وأتباع جماعة أخرى ، أحيانا بالنظر الأولي ، أو بمحادثة يسيرة ، مما يوحي بتفاوت المناهج التي تلزمها كل جماعة في دعوة أفرادها وتربيتهم ، أفلا يمكن حتى في هذه الناحية أن يتفق أئمة هذه الجماعات على مناهج موحدة في العلم والتربية ، تضمن لنا السير في طريق الوحدة المنشودة ، فضلا عن كونها تحفظ كيان الجماعة الواحدة من التمزق ونشوء المدارس المتباينة.

٤- قصور التخطيط وقصر النظر:

إن العمل الإسلامي المعاصر والقائمين عليه ينقصهم التخطيط المحكم الدقيق ، وتقوم عامة أمورهم على الارتجال، وعلى الاستجابة، الفورية العاجلة للمؤثرات والأحداث العارضة، حيث يصبح الحدث العارض بمثابة مرور قضيب المغناطيس بقرب كومة من برادة الحديد، فلا تلبث أن تنجذب كلها إليه لعدم تماسكها وقوتها وثباتها ، وإني ليأخذني العجب مما أرى لدى أعداء الإسلام من حسن التخطيط، وبعد النظر، ووضع جميع الممكنات والاحتمالات في الحسبان ، وأتساءل: ألا يمكن للعاملين للإسلام أن يستفيدوا مما لدى أعدائهم من خطط وطرائق تنسجم مع أهدافنا وديننا؟ وأين هي العقليات المفكرة لدى المسلمين التي تجعل الصعب سهلا ، والعسير يسيراً بإذن ربها؟

وبعد: فليست هذه كل عللنا وأمراضنا ، فهناك الكثير الكثير، الذي قد يرى النور يوماً ما، ولكل أجل كتاب:

- فيا دعاة الإسلام وجماعاته: اتحدوا تنصروا.
 - ويا حاملي راية السنة والجماعة: اعتصموا بالكتاب والسنة تفلحوا.
 - ويا قادة الجماعات الإسلامية: لينوا في أيدي إخوانكم تصلوا.
 - ويا أتباع الدعوات الإسلامية: انبذوا التعصب والفرقة تسعدوا.
- وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين"

الحج وأثره في تربية الضمير

عثمان جمعة ضميرية
تربية مثالية واقعية:

لقد كانت تربية القرآن الكريم للمؤمنين تربية رائعة عالية ، تمد أنظار الإنسان إلى علم المثال الطيب النظيف وتوقفه على أرض الواقع الصلبة، فكانت بذلك تربية مثالية واقعية، يتربى عليها

المسلم في صلته بربه تبارك وتعالى ، وفي صلته بنفسه ، وفي صلته بالناس من حوله ، وفي أدائه للعبادات وقيامه بالمعاملات ، وخضوعه للعادات ، وفي كل مظهر من مظاهر حياته . ولناخذ مثالا ذلك: إن الإسلام يدعو إلى العدالة الشاملة الكاملة فيرغب الناس بذلك في المثالية التي يسعى إليها: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)) [النحل: ٩٠] ، ويدعو إلى العفو والتسامح: ((وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)) [البقرة: ٢٣٧] ((وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)) [الإسراء: ٣٣].

ولكنه في الوقت نفسه لا يهمل الجانب الواقعي الذي فطر عليه الإنسان ، وهو حب الانتصار للنفس إذا ما وقع عليها الاعتداء ، وإلا فإنه يدعو إلى مثالية خيالية لا طاقة للنفس البشرية بها ، ولذلك كانت مشروعية القصاص: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)) [البقرة: ١٧٩] ، إنها ليست دعوة إلى القصاص فحسب دون عفو ، ولا دعوة إلى العفو دون إقرار حق القصاص ، وإنما شرع الله تعالى الأمرين معاً ، ها أنت على عدل وحق لو طالبت بالقصاص من المعتدي ، وها أنت على فضل عندما تعفو وتصفح.

تربية الضمير:

ولقد ارتفع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى مستوى رائع عندما أرشدهم إلى هذا وترك الإنسان لضميره المؤمن ووجدانه الحي ، يستغني في كل ما يعمل وما يترك ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن (أقوى) بحجته من فإنما أقطع له قطعة من قطعة من نار فليأخذها أو فليدها» (١).

أرأيت إلى هذه التربية الوجدانية والتهديب الخلقي للفرد؛ إنها لا تكتفي بوسائل الإثبات المادية ، ولكنها تعود بالمرء إلى ضميره ، فلعن أحد الخصمين يكون أقوى حجة من أخيه الذي يخاصمه فيحاجه بالكلام يخصمه بما قدم ، ولكنه ليس على حق... فليحذر ، فإنما هي قطعة من نار... وحكم الحاكم لا يحل الحرام ولا يحرم الحلال.

ثلاث محاكم أدبية... وسبيل النجاة:

وقد وضعنا القرآن الكريم أمام ثلاث محاكم أدبية (٢) هي: محكمة الضمير في قلوبنا، ومحكمة المجتمع من حولنا ، ومحكمة السماء من فوقنا ، فقال الله تعالى: ((وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) [التوبة: ١٠٥]. وسبيلنا للنجاة أمام محكمة السماء الكبرى هو تربية الشعور الديني " الحسان وسبيل النجاة أمام المحكمة الثانية هو تربية الشعور الاجتماعي ، وسبيل النجاة أمام المحكمة الأولى (محكمة الضمير في قلوبنا) هو تربية الوجدان أو الضمير الخلقي ليجعل من نفس الإنسان وازعاً قبل محاسبة الآخرين ، ولذلك حذرنا من كل عمل يترتب عليه تأنيب الضمير ، وأمرنا أن نرجع إلى هذا الضمير نستغني: «استفت قلبك... وإن أفتاك الناس وأفتوك» (٣).

الحج تربية للضمير:

وهذه المعاني عن التربية الوجدانية أو الضمير الحي الحساس نجدها متمثلة في كثير من مشاعر الحج ومناسكه ، منذ أن يفرض المسلم الحج على نفسه في أشهره إلى أن يقضي مناسكه ، فأنت واجد في كل شعيرة من الشعائر ما يحملك على مراقبة الله تعالى لك ، ويجل من النفس اللوامة أو الضمير حكماً أو قاضياً في كثير مما يقوم به المسلم في الحج.. فإن الله به عليم:

ففي أعقاب الدخول في النُّسك يلتفت السياق القرآني إلى هذه الناحية التفاتة رائعة ، فيقول الله تعالى: ((الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ)) [البقرة: ١٩٧] ، فكل خير وكل قرابة وكل عبادة... فإن الله به عليم ، وعليه يجازي ، وبه يرفع المؤمن عنده درجات ، وهو طريق تحلية النفس وتركيتها وتطهيرها بعد تخليتها من الرفث و الفسوق والجدال..

والإقبال على الله تعالى بهذه الهيئة النظيفة ، وهذه الصورة المشرقة الوضيئة ، والتقلب في هذه المناسك والرياض... يمحو من النفوس آثار الذنوب وظلمتها ، ويدخلها في حياة جديدة لها فيها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

ويكفي المسلم أن يشعر أن الله تعالى يعلم ما يفعله العبد من خير ، ويطلع عليه ويجازي ويثيب ، ليكون ذلك حافزاً له على الإكثار من الخير والاجتهاد فيه... فمن ذا الذي لا يريد أن يراه ربه تبارك وتعالى على أحسن صورة في العمل؟ ومن ذا الذي لا تتطلع نفسه وتتشوق إلى أن يعلم الله منه الخير كل الخير...؟ فيصل بذلك إلى درجة الإحسان التي قال عنها النبي - صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٤)

أثر الذكر والدعاء والتضرع:

ولن يكون الإنسان صاحب ضمير حي ، ونفس لوامة حتى يكون على صلة طيبة بالله تعالى الذي خلقه وسيحاسبه يوم القيامة على ما اقتترف ، وفي الذكر والدعاء والتضرع إلى الله تعالى بصدق وإخلاص ، وفي التلبية التي يجأر بها العبد في مناسكه... كل هذا وسيلة من وسائل تربية الوجدان وإعلاء قيمته ، وهو يصقل النفس ويزكيها ، بما فيه من إظهار العبودية لله تعالى وصدق اللجوء إليه..

رقابة ذاتية صارمة على المخالفات:

وعندما يدخل المسلم في مناسك الحج ويشعر أنه في عبادة الله... يفرض على نفسه رقابة سلوكية صارمة ، تحاسبه أشد الحساب على كل مخالفة تصدر منه ، كبيرة كانت هذه المخالفة أو صغيرة يسيرة. فإذا ما ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام وجب أن يعود إلى ضميره فيكفر عن هذا المحذور الذي وقع فيه بإراقة دم أو صدقة أو صيام ، ولكن السلطة التي تضبط ذلك وتسجله هي سلطة الضمير ومحكمته ، فليس هناك سلطة خارجية وراء ذلك... وفي هذا تربية لهذا الضمير وارتقاء به وإعلاء من منزلته وقيمه ، فاستحق هذا الحاج المغفرة بابتعاده عن الرفث والفسوق والجدال.

وفي الطواف وسيلة لتربية الضمير:

وإذا نظرت إلى سائر المناسك وجدتها أيضاً وسيلة لتربية هذه الرقابة الذاتية للضمير ، فالحاج يطوف حول الكعبة ، ويرف حولها نسوة ، وقد يكون في الطواف شيء من الزحام مما قد يقع فيه البصر على مالا يجوز النظر إليه من النساء الأجنيات ، وقد لا يكون هناك رقابة خارجية صارمة تضبط كل مخالفة من كل واحد من هذه الألوف من الطائفين حول البيت... ومع هذا كله لم يحرم الإسلام طواف الرجال والنساء في وقمت واحد ، أو لم يجعل لهن مطلقاً خاصاً... ولعل في هذا أكبر الأثر في تربية الضمير ، فالمسلم يُترك هنا لضميره ولوجدانه المؤمن الذي يحجزه عن فعل أي محذور عندما تكون الوسيلة بهذه المثابة ، ولكنه يعلم أن الله تعالى يراقبه ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وأن مخالفة ومعصية في الحرم ليست كغيرها من المخالفات ، فهي عزيمة جسيمة ، بل

هي مضاعفة ، حتى إن إرادة المعصية والهَمَّ بها فيه تعتبر معصية يستحق صاحبها العذاب الأليم ((وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ)) [الحج:٢٥] .. وفي قضاء المناسك تربية...

فإذا ما قضى الحاج مناسكه وذكر الله تعالى في أيام معلومات وفي أيام معدودات ثم جدد العهد مع الله تعالى على الاستقامة على منهاجه وشرعه

بتوبة صادقة من نفس مؤمنة نادمة ضارعة إلى الله ، وإذا ما وضعت هذه المناسك على طريق المسؤولية فإنه يربأ بنفسه بعد ذلك أن تنحرف وتخالف منهج الله ، وإن حياؤه من الله تعالى وشعوره بأهمية هذه العبادة العظيمة يربى في نفسه هذا الضمير الحي وهذه التربية الوجدانية.

وبعد:

تلکم بعض اللحامات عن أثر الحج في تربية الضمير والوجدان ، تضاف إلى كثير من الآثار والمنافع التي يشهدها المسلمون في الحج ، فهنيئاً لهؤلاء المسلمين الطائعين، هنيئاً لهم حجهم وعبادتهم التي ترفعهم إلى هذا المستوى المشرق الوضيء الكريم. والتي تهذب نفوسهم وتركيبها ، وتربى وجدانهم وتطهره ، وتذهب ، بذنوبهم وأثامهم ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، والحمد لله رب العالمين .

الهوامش :

- ١- متفق عليه من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
- ٢- الفكرة مأخوذة عن الأستاذ الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه عن المسؤولية.
- ٣- قطعة من حديث رواه الإمام أحمد و الدرامي
- ٤- قطعة من حديث جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان ، أخرجه الشيخان.

إرشادات طبية للحاج

د. خالد موسى

- فرض الله على عباده الحج مرة في العمر لقوله تعالى. ((وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)) [آل عمران:٩٧]. والحج طاعة لله وتزكية للنفس وتطهير للعبد من الذنوب والخطايا ، وهو مؤتمر إسلامي جامع تتوافد إليه الجموع من كل بقاع الأرض.

المناسب أن نستعرض في هذه العجالة بعض الجوانب الطبية الهامة ، إذ أن هذه الجموع الهائلة من الناس، قد تكون فريسة سهلة لشتى أنواع الأمراض والأوبئة ، لذا وجب على الحاج معرفة كل ما يتعلق بحمايته من الناحية الصحية.

وسنبدأ بأكثر الأمراض انتشاراً في موسم الحج يجمعها عامل مشترك هو شدة الازدحام.

١- الرشح والزكام:

سببهما حمات راشحة (فيروسات) متنوعة ، والوقاية ممكنة عن طريق تجنب التبول الحراري المفاجئ ، والابتعاد عن مواجهة التكيف والتبريد المباشر ، وتجنب العطاس والسعال في مواجهه الآخرين ، وإلقاء المناديل ، وإتلافها في أماكن خاصة ، والابتعاد ما أمكن عن لمس المصابين بالمرض واستشارة الطبيب للعلاج.

٢- التهاب الطرق التنفسية العليا:

سواء كان صحي أو جرثومي فإن أسبابه مشابهة لما سبق ذكره غير أن الوقاية يجب أن تطبق بصرامة أكبر ، وفي حالات دقيقة قد تحصل بعض الإصابات "بذات الرئة" وتكون هنا الإصابة أكثر شدة ، وتتطلب علاجاً صارماً.

٣ - التهاب المعدة والأمعاء:

وأسبابها غذائية ، طفيلية ، حمية ، فيروسية ، جرثومية ، وأعراضه غثيان وقيء ، آلام بطنية ، إسهالات و متكررة ، وربما صداع وارتفاع حرارة ، والوقاية منها تكون بالاهتمام بالنظافة العامة والخاصة: غسل الأيدي ، غسل الفواكه والخضار ، تجنب تناول الأطعمة غير المطبوخة جيداً والتي يشتبه بتلوثها ، عدم تناول الألبان ومشتقاتها دون التأكد من صحة تعقيمها وتواريخ انتهاء صلاحيتها ، عدم تناول الأغذية والسوائل بأوعية وأوان غير نظيفة ، أو أنها استخدمت من قبل آخرين ، تناول المياه الصحية من مصادرها الرئيسية الخاضعة لرقابة صحية.

٤ -داء السماط:

ويحصل نتيجة التعرق الشديد والاحتكاك المستمر لثنيات الجلد مما يحدث انسلاخ واحمرار الجلد خاصة عند البدينين ولا سيما بين الفخذين ، وتحت الإبطين ، وتحت الثديين عند النساء ، وتكون الوقاية بتخفيف حالة التعرق والاحتكاك بتجنب المشي طويلاً وقت الحر ما أمكن ، لبس السراويل الداخلية الطويلة لمنع الاحتكاك (خارج أوقات الإحرام) ، استعمال المياه الباردة لغسيل المنطقة المعرضة للاحتكاك ، استعمال بعض الوصفات والمراهم الطبية.

٥ -تشقق القدمين:

يظهر نتيجة المشي المستمر بالأحذية الكاشفة للأعقاب (الصنادل) والتعرض للأتربة والأغبرة مما يؤدي إلى جفاف الطبقة المتقرنة من الجلد ثم إلى التشقق ، والوقاية منه بغسل القدمين وتجفيفهما جيداً ، لبس الجوارب (خارج أوقات الإحرام) مما يخفف تعرضها للأتربة والأغبرة ، الضغط بكل القدم على الأرض واستعمال مراهم مطرية. ٦

٦-الآلام والقولنجات الكلوية:

نتيجة فقدان السوائل والحر الشديد يتعرض البعض لحدوث القولنجات الكلوية وآلام الخاصرتين والحصى الكلوية أو ذلك لزيادة ترسب الأملاح والتبلورات بالطرق البولية نتيجة زيادة كثافة البول لا سيما عند من لديهم استعداد لذلك ، ولتجنب هذه الآلام ينصح الحاج بشرب سوائل بكمية كبيرة لا تقل عن ٣ - ٤ لترات يومياً ، تجنب التعرض للتعرق الغزير والحر الشديد قدر الإمكان ، مراجعة الطبيب بظهور الأعراض ، اتباع الإرشادات الطبية لمن لديه سبب مهياً لحدوث الحصيات الكلوية.

٧ -متلازمات فرط ارتفاع الحرارة والإعياء والإنهاك الحراري وضربات الشمس:

سببه المباشر الرئيسي هو التعرض للحرارة الشديدة وأشعة الشمس ، وتبدأ الأعراض عادة بالحالات الخفيفة ثم مرحلة الإعياء الحراري وهو أكثر حالات فرط الحرارة حدوثاً، وقد يرافقه صداع وضعف ودوار وغثيان وقلّة شهية وربما ميل للإغماء ، أما الحالة الأشد خطورة فهي حمى الحر أو ضربة الشمس ، وتبدأ أعراضه بتوقف وتعطيل آلية التعرق نتيجة تعطل، الجهاز المنظم للحرارة ، فيشكو المريض من صداع ودوار وإغماء وآلام بطنية ، ومن ثم فقد الوعي الذي قد يحدث من البداية وتكون الوقاية بتجنب الخروج ما أمكن أوقات الحر الشديد ، استعمال المظلات والخيم والحواجز للوقاية كل حر الشمس ، شرب المياه والسوائل وخاصة المياه الصحية الغنية بالأملاح والشوارد

لتعويض ما فقد منها بالتعرق، الانتباه لظهور أول بوادر وأمراض متلازمات الحر بالبداية بعلاجها فوراً.

ومن النصائح الطبية العامة التي يجب على الحاج أخذها بعين الاعتبار:

- ١ - اتباع الإرشادات الصحية لاسيما من جهة النظافة العامة والخاصة.
 - ٢ - تناول الأطعمة والسوائل والمشروبات والألبان النظيفة والمعقمة.
 - ٣- تجنب التعرض للحر وأشعة الشمس المباشر واستعمال المظلات والابتعاد بأمكان الظل مع محاولة التلازم بين التكييف والتبريد بشكل مناسب وبدون تعرض لتيار المكيف المباشر.
 - ٤- تبليل الجسم والرأس الوجه والأطراف بالماء البارد بين الفينة والأخرى.
 - ٥ - استشارة الطبيب ومراجعة المراكز الطبية القريبة بمجرد الشعور بأي إنهاك أو إعياء أو أعراض مرضية لأخذ التدابير العلاجية والوقائية في مرحلة المرض المبكرة.
 - ٦ - الانتباه والإسراع بنقل المريض لأقرب مركز صحي أو مستشفى خاصة بحالة ضربة الشمس مع وضعه في جو بارد واستعمال كمادات باردة.
- وفي الختام نسأل الله عز وجل أن يبسر على الحاج أداء الفريضة ، وأن يقيهم ويحفظهم بحفظه ورعايته ، وأن يتقبل منهم عملهم ويكتب لهم به حجا مبروراً وسعيّاً مشكوراً وذنباً مغفوراً ، وأن يعيدهم إلى أهليهم وذويهم سالمين غانمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

منبر الشباب

الفراغ وأثره في النفس والمجتمع

د. عبدالله سلطان السبيعي

اتجه العلم الحديث لأسباب تاريخية إلى فصل العلم عن الدين، والابتعاد عن قبضة الكنيسة ورجال الدين ، ولسوء حظ بلاد العرب والمسلمين فقد استورد هذا الاتجاه بما فيه من خطر عظيم لعدم وجود البديل وهو الفكر الإسلامي.

أنا لا أدعي وأنا أكتب هذا المقال أنني أعرف في الدين أكثر مما يعرفه الشخص العادي، وهذا نقص أعترف به ، ولكنني هنا أحاول أن أعكس ما تعلمته وأربط ما أعلمه من طب وعلم النفس مع عقيدتي الإسلامية. هذا ليس هو الطريق لأسلمة العلم ، الشيء الذي يقصد به أكثر من ذلك لعل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه من القول والعمل.

قرأت مؤخراً آية من كتاب الله هي قوله تعالى في آخر سورة الشرح ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)). قرأت تفسير هذه الآية في أكثر من مرجع فإذا هي مخاطبة للرسول صلى الله عليه وسلم- بأن يتوجه إلى الله بالعبادة بعد أن يفرغ من شغله مع الناس ، وأن ينصب في ذلك ويتوجه إلى الله بكل ما يفعله.

المعنى الذي استشعرته من الآية والذي ينطق على كل إنسان مهما كان هو معنى الفراغ بمعناه الشامل ، أي إذا انتهى الإنسان من أي عمل كان ، ووجد نفسه فارغاً ، لا يجد شيئاً يفعله ، توجهه الآية الكريمة أن يبحث عن شيء يشتغل به ، ولكن الآية لا تترك التوجيه هكذا عائماً يفسره كل حسب هواه ، إنها توجهنا ، ألا يكون ما نشغل به لمجرد شغل الفراغ ولكن يجب أن يخضع لضابطين أساسيين هما: النصب ، والنية الصالحة.

وإذا انتقلنا إلى الكلام عن الفراغ وما يجر إليه من مفسد وذلك في ظلال هذه الآية وهذا المفهوم؛ نجد:

أولاً: أن الفراغ سبب أساسي في الكثير من أمراض العصر النفسية والجسمية ، لا يختلف الأطباء أبداً في أثر الفراغ في الجسم البشري أو حتى الحيواني وأنه يؤدي إلى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والروماتيزم والجلطات القلبية والدماعية ، وهم أيضاً لا يختلفون كذلك أن الفراغ وراء الاكتئاب والقلق النفسي والهم.

ثانياً: الفراغ يجعل الإنسان يشعر بأنه لا فائدة له، وأنه عضو مشلول في المجتمع لا ينتج ولا يفيد. فالإنسان الفارغ لا يترقب شيئاً تهفو إليه نفسه كنتيجة لعمله ، فهو بلا هدف في الحياة وأي حياة هذه التي لا هدف لها.

ثالثاً: الفراغ وسيلة من وسائل إبليس يوسوس فيها للإنسان فيثير فيه كوامن الغرائز ويلهبها فتحرقه وتفلت من لجامها لتحرق ما حوله. وهذه حقيقة لا مرأى لها.

رابعاً: الفراغ سبب للمشاكل الأخلاقية والجريمة، ويشهد بهذا علماء الاجتماع، إذ وجد أن نسبة الجرائم والمشاكل الأخلاقية تتناسب طردياً مع نسبة البطالة في أي زمان ومكان.

خامساً: الفراغ سبب في كسب الذنوب مثل التفكير في المعاصي والحديث في الناس ، وما إلى ذلك. سادساً: الفراغ تعيل للطاقة وقد قال صلى الله عليه وسلم ما معناه: أنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع... " ومنها: وعن عمره فيم أبلاه. فلا حول ولا قوة إلا بالله ولنعد مرة أخرى إلى الشرطين الذين وضعتهما الآية الكريمة لعلاج هذا الداء (الفراغ)، ألا وهما:

١- النصب: (بفتح الباء) أي إن مشاهدة التلفزيون وقضاء الساعات أمامه وقراءة الجرائد الهزيلة وما إلى ذلك ليس مما يداوي هذا المرض ويمنع الخلل الذي يجره على الإنسان ومن خلفه المجتمع الذي هو عضو فيه. الشرط هنا هو التعب أي أن يجهد الإنسان نفسه فالتعب وحده هو الذي يصرفه عن ما ذكرناه من عواقب الفراغ الوخيمة.

٢- الرغبة إلى الله: أي التوجه إليه وقصده وحده بما تجهد فيه نفسك وهذا ليس فقط لربط الدنيا بالدين كما هو هدف القرآن في كل توجيه ولكنه أيضاً الوسيلة الوحيدة لسلسلة أخرى من المشاكل، ألا وهي التسبب وانخفاض مستوى الكفاءة الإنتاجية في العمل، وهذا من اكبر المعضلات في علم الإدارة. لا يمكن أن يردع الإنسان ترغيب ولا ترهيب أن لا يقصر في عمله أو يخون صاحب العمل سواء كان فرداً أو حكومة ، لكنه الخوف من الله سبحانه والعلم بأنه مطلع على كل ما نعمله وحتى ما تخفيه الأنفس. هذا الخوف من الله هو المقصود بالآية، فالعامل يخلص العمل ليس رغبة في تقدير صاحب العمل وحفنة من المال، ولا خوفاً من العقاب إن هو قصر ولكن رغبة في ما عند الله، ومن ثم الجزاء نقداً (حاضراً) بالشعور بالراحة النفسية والسمعة الحسنة والكسب المادي ، ومؤجلاً بما عند الله جزاء النية الصادقة والضمير اليقظ .

لا أجد داعياً لأعود فأحدث عن ما يفعله التوجيه الإلهي في هذه الآية ، إذ ينقض على معول من معاول الهدم فيحطمه ويرى الإنسان المسلم كيف يبني بنيانه على أساس من الإيمان يرتبط فيه علم النفس بعلم الاجتماع بعلم الإدارة بالطب البشري.

أدباء الحداثة وبعض أساليبهم في حرب الأدب الإسلامي ورواده

يحيى رسام
تعليمات:

أيها الأدباء الحداثيون ... والنقاد التقدميون:

أحرصوا وأنتم تخوضون معركة غرس المفاهيم الجديدة! لتغدو بديلاً عن المفاهيم "الرجعية" و"السلفية" أن يكون همكم الأكبر، أن تحجبوا عن جماهير القراء ما يسمونه بـ "الأدب الإسلامي" وذلك بأن تضربوا حوله أسواراً من الحصار الإعلامي تخنقه،.. فلا تسمحوا بنشره.. ولا تحدثوا عنه... أو تشيروا إليه، وحينئذ لن تجد الجماهير ما تقرؤه، إلا ما ترشحوه لها في صحفكم، ومجلاتكم... وتشيدوا به في منتدياتكم ومؤلفاتكم... فإن لم تفعلوا - ولا بد - فاعملوا على نشره و"شرحه" لتحرفوه!.. فإن لم تتمكنوا فلا تتوانوا لحظة في تشكيك الناس فيه، وتشويه صورة من يتبناه، أو يدعو إليه! وإني رأيتكم في أنفسكم الاستطاعة على السطو عليه ثم إعادة إخراجه باسمكم- طبعاً- بعد صبغه بطابعكم فلا تترددوا.. ولكن انتبهوا فهذا الطريق لا يخلو من المخاطر والمجازفة.. ولكنكم إن نجحتم، فإن قوانا الخفية ستوفر لكم الحماية اللازمة! وستجعل منكم الأدباء الكبار، والفلاسفة الذين لا يشق لهم غبار، والمفكرين العظام، والنقاد المبدعين، بل وستكونون، أنتم أصحاب النفوذ، وستتبوؤن المراكز العلمية العالية والتي من خلالها تواصلون القيام بمهمتكم.... وسلاحكم لتحقيق ذلك وسائل الإعلام المختلفة!..

ومما يساعد على أداء دوركم. المرسوم، أن تتستروا بغطاء المنهجية! والأمانة العلمية، والتي يجب أن لا تسأموا من تكرارها في جامعاتكم، وأنديتكم، ومنشوراتكم، ومؤلفاتكم حتى تغدو شارة لكم، وعلامة عليكم...

لعل العبارات السابقة تمثل تلخيصاً دقيقاً لكثير من التعليمات التي يتلقاها عبيد الغرب.. من الأدباء الحداثيين، وكل العلمانيين القدامى والمحدثين من أساتذتهم، وسادتهم وأولياء نعمتهم!.. في كيفية حربهم للأدب الإسلامي ورواده.. والأساليب التي يجب اتباعها، وترسم خطاها... ونحن لا نقول ذلك افتتاحاً، أو اعتباطاً، ورمياً للأبرياء بالاتهام جزافاً.. بل إن المتتبع للأساليب والوسائل التي ينتهجها حاملو الفكر المستورد الدخيل... خلال القرن الحالي، والذي شارف على النهاية، في حرب الأدب والفكر الإسلامي ورواده ومبدعيه، وحاملي لوائه، يجد مصداق ما نقول واضحاً. لا لبس فيه ولا غموض(١)..

جبهات ثلاث:

وسنكتفي هنا بإلقاء بعض الأضواء على أهم الجبهات التي ينضب فيها أولئك كمائتهم لحرب الإسلاميين والتي لخصتها العبارات السابقة.

أولاً:

فحيث لم يكتفوا باتباع أسلوب حجب الإسلاميين وأدبهم عن الجماهير، عن طريق ضرب أنواع من الحصار الإعلامي الرهيب، والذي كان بمثابة "الحكم على الإسلاميين بالموت"، وهم أحياء يراهم الناس" كما عبر عن ذلك الأديب الإسلامي الكبير علي أحمد باكثير يوماً (٢).

ثانياً:

فقد عمدوا إلى أسلوب أكثر خبثاً، وأعمق مكرراً، وأشد خطراً، تمثل في السطو على أعمال بعض الأدباء الإسلاميين، ومن ثم ينسبوننا إلى أنفسهم، ولعل ما شجعهم على ذلك هو غيبة أصحاب الحق الأصليين عن الساحة بالسجن تارة، وبالإبعاد والهجرة أخرى... وفي ظل أوضاع سياسية ترمي من يتحدث عنهم بالعمالة لقوى الاستعمار والإمبريالية..

وقد دلت هذه الظاهرة على خبيثة نفسيات أولئك الأدباء الكبار ، حيث لم يعد فيها مكان لشيء اسمه حياد، أو خجل، أو شرف، أو احترام حقوق الآخرين فصدق فيهم قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: « إن مما أثر من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، مع أنهم لا يفتأون يرددون كلمات "العلمية" و"المنهجية"!! وينفرون الناشئة من طلبة الجامعات من "السرقات الأدبية" في الوقت الذي يمارسونها في أبشع صورها!

لقد مارس العلمانيون عمليات السطو والسرقة جهاراً نهاراً ، وأمام الجميع دون أن يمسه سوء ، أو يطالبهم عقاب ، أو يضرهم ضار! ما دام أصحاب الحق غائبين حساً ومعنى! فحتى لو علموا ذلك فهم غير قادرين على الدفاع عن حقهم ، والمطالبة بفضح ومعاينة الذين يسطون على أعمالهم ممن يسمون أنفسهم ، ويعتبرهم الناس ، نقاداً مبدعين أو أدباء كباراً! وهم وحدهم الذين يصلون ويجولون في الساحة الأدبية...

ونحن لو ذهبنا، ندلل على صحة ما ادعيناه آنفاً، لطلال بنا الحديث، إذ أن الوقائع التي مورس فيها السطو أكثر من أن تحصى ... ولكننا سنكتفي بضرب بعض الأمثلة من بلدين عربيين مكاناً فقط وفي فترتين مختلفتين زماناً!

المثال الأول:

ناقد عربي، وأستاذ في جامعة يحسب نفسه كبيراً، ويعتبره كثير من النقاد والأدباء كذلك، يقال له الدكتور أحمد كمال زكي، هذا الأديب الحدائي الكبير! والناقد "التقدمي" استغل وجود سيد قطب رحمه الله على عهد نظام عبد الناصر فانقض على كتاب سيد قطب المشهور "النقد الأدبي أصوله ومناهجه"، وأعاد قراءته، ثم أجرى عليه بعض الحذف والتغيير، والإضافة، والتقديم والتأخير، مع إعادة صياغة بعض أفكاره ومعانيه ، وفي أماكن مختلفة من الكتاب ، حتى غلب على ظنه صعوبة اكتشاف عملية السطو، ثم عمل على إعادة نشر الكتاب تحت عنوان مشابه "النقد الأدبي أصوله وأهدافه"(٣).. وبالتالي فقد وجد الكتاب والأدباء والنقاد ، الكتاب الجديد منسوباً للناقد الكبير!

فاعتبروه من إبداعه!! وعدوه إضافة جديدة في عالم النقد الأدبي!!

حدث ذلك يوم كان سيد قطب - وإخوانه - يؤدون ضريبة إيمانهم، وجهادهم، ورفضهم لحكم الطاغوت كما أسلفنا، ويوم كانت كتبهم مصادرة، و"كان يسيطر على قافلة النقاد حشد من الشيوعيين المعروفين، الذين يكيدون ويدبرون، فيرفعون المؤيدين، ويهيلون، تراب التجاهل والنسيان على أصحاب المواقف الشريفة" على حد تعبير الأستاذ الأديب نجيب الكيلاني.

ولا أظن إلا أن بعضاً من النقاد والأدباء - من غير الماركسيين - قد أدركوا "هذه اللعبة" ولكنهم آثروا الصمت على الكلام ، لأسباب معظمها معروف.

تلميذ جريء وأستاذ أكثر جرأة:

ولئن كان هذا الناقد الناشئ حينها قد سطا(٤) على ما ليس له ودعاه لنفسه! فإنه إنما كان يسير على خطى أستاذه العميد د. طه الذي مارس هذه اللعبة من قبل... ولكن بصورة أكثر جرأة ، وأشد بشاعة ،

إذ أنه كان قد سرق مرتين ،فعلها مرة مع أستاذه المستشرق مرجليوث ، وفعلها أخرى مع تلميذه محمود شاکر! ومع أن حكاية سرقة بحث مرجليوث عن "الشعر الجاهلي" غدت معروفة لدى من عاصر أحداثها ، ثم الجيل الذي تلاه ، إلا أننا نرى أنها فرصة مناسبة لسرد الحكاية باختصار لأن كثرة الأحداث ، وتواليها ينسي بعضها بعضاً ، وحتى يرى القارئ المعاصر الخبرة التي توفرت لأولئك ، وورثها عنهم تلامذتهم ومريدوهم!

وملخص الحكاية:

أن الدكتور طه كان قد سطا على بحث كتبه المستشرق المعروف مرجليوث حول "الشعر الجاهلي" أنكر أو على الأقل شكك فيه بوجود شيء اسمه " شعر جاهلي" مدعياً بأن ما يسمى "بالشعر الجاهلي" إنما هو في الحقيقة "شعر إسلامي" ابتدعه المسلمون من أتباع محمد حتى يفسروا به قرآن نبيهم!! ويؤيدوا به دينهم! ثم قام العميد ، وبجراحة نادرة يحسد عليها!! بإلقاء البحث على طلابه! في مدرج كلية الآداب على أنه صاحبه ومبدعه ، ولسوء حظ طه حسين ، فقد تنبه لهذا السطو العلني تلميذ ذكي كان الدكتور طه قد بذل غاية جهده من قبل ليقنع هذا الطالب النبیه للالتحاق بكلية الآداب حيث رأى فيه موهبة أدبية(٥) وميلاً ظاهراً لدراسة الآداب.. وقد كان ذلك الطالب هو محمود شاکر، الأخ الأصغر للإمام المحدث أحمد شاکر رحمه الله... ولو كان طه حسين يعلم ما يخبئ له الغيب لما عمل على إقناع التلميذ محمود شاکر للتخصص في الآداب ، لأن هذا التلميذ قد تخصص فيما بعد في كشف سرقات أستاذه، وإن كان د.طه، لم يعد الاستفادة من تلميذه النابغة ، بطريقة أو بأخرى كما سنرى!.

وعود على بدء نقول: بأن التلميذ محمود شاکر كان قد تنبه لفعلة أستاذه إذ أنه نفسه كان قد اطلع على بحث مرجليوث قبل إلقاء الأستاذ لمحاضراته عن الشعر الجاهلي فوجدتها هي هي ... دون أدنى تغيير أو تعديل، أو حتى مجرد تعديل فدهش لهذه الجراءة التي يتمتع بها أستاذه ، ثم وقف مستغرباً ومتعجباً لهذا الذي يراه أمامه ، وممن؟! من أستاذه الذي كان يحترمه من قبل ، ولعله حاول تنبيه الأستاذ ، ولفت نظره ،.. إلا أنه لما رأى الإصرار! هب صائحاً ، وكاشفاً لما رآه من سطو في وضوح النهار، بعد أن هاله ما حدث ، وانتهت إلى الأبد تلك الهالة التي كان أستاذه يحاط بها! فناقش أساتذته ، وتحدث مع زملائه، وحاوّر أستاذه - بجرأة - في قاعة الدرس ، بعد أن ذهبت هيئته ، وإن كلفه ذلك تعنيف الدكتور طه بعد كل درس .. ثم لما لم يجد أدنى تجاوب لجأ لزملاء أستاذه من المستشرقين العاملين في الجامعة، وفي كلية الآداب بالذات، ولكنه مع الأسف، ووجه بصمت مطبق، يبعث على الريب، وبدا له وكأن الأمر قد دبر بليل ، حيث وجد الجميع لا يحركون ساكناً، ولا يفتحون فماً، اللهم إلا من كلمة تأييد، وأحياناً، لا تتجاوز الابتسامة وهز الرأس في السر، لهذا الطالب، وكأنهم يقولون له: أن نعم!!، الرجل سارق، والحق معك، والأدلة في جانبك! ولكن ماذا نفعل؟! لا حيلة لنا! فالرجل يسطو لأنه صاحب صولة سطوة!! وأمام هذا الوضع الذي أظلم في وجه هذا الناشئ.. فضاقت عليه الأرض بما رحبت.. وهو ذو القلب الصغير ، لم يستطع تحمل وقع الصدمة ... فما كان منه إلا أن قرر لا ترك الجامعة فحسب ، بل ترك البلد أيضاً!! فهاجر إلى حيث وجد نفسه أكثر استقراراً.. فمكث هناك فترة من الزمان.. هدأت فيها نفسه! وأعطاه فترة استراحة ، وتعبئة في نفس الوقت.. لأننا سنلاحظ أنه بعد بضع سنوات قد قرر العودة ليوصل القيام بدوره في دفع الأذى عن أمته، وفضح أعدائها ، وتعريتهم بعد أن تبين له عظم المؤامرة ، وخطورة السكوت عليها! فقام بواجبه على خير وجه ، فكشف عن أبعاد المؤامرة، وخططها، ومنفذيها ولا

زال .. تلك كانت خلاصة الحكاية التي رواها الأستاذ الكبير محمود شاكر حفظه الله في أحد كتبه (٦). ، وهي كما رأيت لا تحتاج إلى أي تعليق!

طه حسين ومحمود شاكر:

وأما ما فعله د. طه حسين مع محمود شاكر، فيتلخص في أن محمود شاكر التلميذ قديماً، والأديب الكبير والمرموق فيما بعد كان قد كتب بحثاً ضخماً عن "المتنبي" الشاعر في الذكرى الألفية له، نشرته مجلة (المقتطف) في عدد خاص (٧).. فما كان من الأستاذ الخبير في الاستفادة من جهود غيره!! الذي أعجب بالبحث فكرة، ومادة، وجدة، إلا أن قرر إخراج البحث في طبعة جديدة.. ولكن باسمه لا باسم صاحبه، وطبعاً كالعادة كان قد أجرى بعض التغييرات كصيغة كثير من فقراته، ومواده، بأسلوبه، وأعاد ترتيب مواضيعه وزاد من الشروح والحواشي، وأضاف إلى ذلك نتفاً من كتاب عن المتنبي لمؤلف آخر، حتى ظهر له أنه صاحب الكتاب، بعد أن غدا أكبر من حجمه الأصلي، فأصدره باسمه، بعنوان "مع المتنبي"، ولعله قصد تكريم تلميذه، ومكافئته على جرأته، وصراحته! ولكن الأديب محمود شاكر كان له بالمرصاد هذه المرة، ففضحه على الملأ، حيث كتب عدداً من المقالات في "البلاغ" بعنوان "بيني وبين طه" جعل الدكتور أضحوكة تلوكها الألسن، ويتهكم به الناس!.

وفي اليمن أيضاً:

تكررت نفس الأحداث، وإن كانت أقل خبرة، وخطراً، ومختلفة طريقة وأسلوباً، فقد تجرأ بعضهم - وهم تلاميذ للدكتور طه حسين - وغيره ممن هم على شاكلته، فأنكر إنتاج بعض الأدباء الإسلاميين، فهذا أحد شعراء اليمن المشهورين، الأستاذ: عبد الله البردوني، عمل على إنكار قصيدة مشهورة للشاعر الشهيد: محمد محمود الزبيري، وهي القصيدة السينية والتي قالها بعد أن تأزم الموقف بين الحكومة والأحرار، في أوائل الستينات، فقدم استقالته من الوزارة (٨) وخرج إلى القبائل، ورأى أن إصلاح اليمن لن يتحقق إلا بالتبني الواضح والصادق للإسلام، وتحكيم شرعه، في مقابل قوانين العبيد المملوكة والمجذوبة، فأعلن الزبيري عن تأسيس "حزب الله" ودعا كل المخلصين من أبناء اليمن إلى الانضمام إليه (انظر ص ٢٣٧، اليمن المعاصر) للأستاذ محمد الحداد".

وكان الزبيري قد هاجم في قصيدته تلك الحكام العسكريين الذين كانوا يسيرون ضمن الخط الناصري، والذين أرادوا صرف اليمن عن هويته، وجعله ذنباً يدور في فلك الاشتراكية حيث دارت، فأساءوا إلى اليمن، كما أساء إليها من قبلهم، وقال الزبيري فيها أنه سيجارب كل من يعمل ضد مصلحة اليمن ودينها، وإن لبسوا ما لبسوا!

بل إن الأستاذ البردوني لم ينكر قصيدة الزبيري، المذكورة فحسب، لكنه حكم على الزبيري بالشيخوخة الشعرية، حيث قال في كتابه "رحلة في الشعر اليمني" ص ٢٨: "فرجوعه - أي الأستاذ الزبيري - إلى اليمن من القاهرة كان نهاية عمر شعره، فلم يرو له في عهد الثورة بيت شعر حتى استشهاده في إبريل ١٩٦٥م".

وهذا افتراء، وجرأة على الحقيقة والتاريخ... لا تقل عن مثيلاتها مما سبق الإشارة إليه... وعلى الرغم من مرور فترة من الزمن على هذه العملية.. كان اليمنيون مشغولين بما هو أهم في نظرهم بناء اليمن، والعمل على نشر العلم والمعرفة في أرجائه (٩)، إلا أن أحد الأدباء اليمنيين الكبار (١٠) ممن عايشوا الزبيري، وشاركوه في الجهاد ضد الاستبداد والظلم في بعض مراحل حياته، قد

تعرض في بعض كتبه لهذه القضية ، فقال وهو يفضح البردوني ، ويكشف حقيقة دعواه. "كيف يجرو الأستاذ البردوني على التاريخ والأدب!! ويقول بأنه لم يسمع ولم يقرأ للزبيري في عهد الثورة بيتا ، وهو يعلم والجميع يعلمون أنه - أي الزبيري - قال أشعاراً كثيرة ، وحسبك منها قصيدته الشهيرة التي أنشدني بعض أبياتها عندما التقينا في أول مؤتمر للسلام في (إركويت) بالسودان عام ١٩٦٤م".

قصيدة " الكارثة " :

ولا بأس بأن نورد بعض أبيات تلك القصيدة التي أختار لها الشهيد الزبيري رحمه الله عنوان "الكارثة" ولعله يقصد بذلك أن الأوضاع في بلاده إذا استمرت على ذلك الحال، فإنها ستؤدي حتماً إلى الهاوية ، فتحل باليمن وشعبها الكارثة. يقول في بعض أبياتها مخاطباً الحكام حينذاك (١١) :

كفى خداعاً فعين الشعب صاحبة لقد سئموا الرؤيا وقد يؤسوا
يلفقون قواني العبيد لنا ونحن شعب أبي مارد شرس
لم القواني رؤياها تعاودهم قد ألبسوها نفاق العصر والتبسوا
قانونكم لاغتصاب الحكم مهزلة كترهات إمام مسه الهوس
والحكم بالغصب رجعي نقاومه حتى ولو لبس الحكام ما لبسوا!!
والظلم يعلنه القانون نفهه ظلماً وإن زينوا الألفاظ واحترسوا
والموت من مدفع حر نقول له موتاً وإن أوهمونا أنه عرس
عار على صانع القانون يكتبه وحكمه في بحار الدم منغمس
ثم يقول مقارناً لهم من جهة ثانية بحكم الإمام السابق :

روح الإمامة تسري في مشاعرهم وإن تغيرت الأشكال والأسس
وأنتم عودة للأمس قد قبر الطغاة فيكم وعادوا بعدما اندرسوا
وأنتم طبعة للظلم ثانية تداركت كل ما قد أهملوا ونسوا

ثانياً: وفي اليمن كذلك:

لجاء البعض الآخر إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، وتسمية الأشياء بغير. مسمياتها ، وساروا في الخط الذي رسمه الأسياد ، فسعوا إلى تفسير إنتاج الأدباء الإسلاميين تفسيراً اشتراكياً ، بعد أن رأوا فشل الأسلوب السابق ، فجعلوا من أدب الإسلاميين خادماً لأهدافهم العلمانية... فعل ذلك أحد الأدباء الكبار وهو يقرأ بعض روايات الأديب الإسلامي الكبير: علي أحمد باكثير (١٢) رحمه الله ، وكذلك كان شأن بعض أدباء اليمن الذين ينتمون لأفكار ومدارس فكرية شتى مع شاعر اليمن القاضي الشهيد محمد محمود الزبيري (١٣) فقد ذهب كل أصحاب مذهب إلى ، تفسير شعر الزبيري وأدبه تفسيراً يؤيد مذهبهم وفكرهم ، بل وينسبونه إليهم ونفي صفة الإسلامية عنه.

ولا شك أن مثل هذا العمل إلى جانب كونه طمساً للحقيقة، حقيقة أدب الزبيري الإسلامي فقد كان دعاية لهذه الفئة أو تلك... ولا شك أيضاً أن ذلك يعد زيادة في التعمية، وإمعاناً في الكيد، وحجبا للحقيقة عن الجماهير ، والمهم أن يطمس وجهه الإسلامي ، ثم ليكن ما يكون ولكن الجميع متفقون على أنه لا صلة له بالإسلام... لقد أصبحوا خبراء في لي أعناق الكلام ، وتشويه الحقائق (١٤).. إن أساليب عبيد الفكر الغربي ، وتلاميذ المستشرقين أصبحت مفضوحة ، وقد آن لهم أن يعيدوا النظر في مواقفهم ، ويكفروا عن أخطائهم قبل فوات الأوان.

الهوامش :

١- ولقد تيسر لي - بعد الانتهاء من كتابة هذا المقال - أن اطلع على بعض تلك الخطوط والتعليمات، والتي تكون في العادة على شكل نشرات يحرصون على سريتها... فقد اطلعت على نشرة قديمة كانت قد نشرت في جريدة (الاستقلال الجديد) التركية، والصادرة في استنبول بتاريخ ١٩٦٥/٣/٢٤ م في عددها ١٨٩ بعنوان "التعليمات السرية الموجهة من مؤتمر المحررين الروس إلى الكتاب الشيوعيين في العالم"... ومما جاء في بندها السادس، السابع، مما له علاقة بموضوع حديثنا ما يلي (نقلًا عن القبس السودانية الصادرة الأربعاء ٢ رجب ١٤٠٩ هـ، ٨ فبراير ١٩٨٩ م: البند السادس: ، اعملوا على هدم شهرة وتشويه سمعة كل من لا يتبنى أفكار الشيوعية ويحبذها في الحقول السياسية، والأدبية، وفروع الثقافة العامة.

البند السابع: "اتخذوا كل بطل وطني حبه الشعب، ولا يستطيع التخلي عنه لواء بيدكم تنتسترون وراءه، وفسروا أفكاره ومفاهيمه من زاويتكم وانشروها بين الناس". انتهى، ولعل القارئ سيلاحظ أنها جاءت مطابقة تماماً لكلامنا السابق، ثم إنه ليس خافياً أن أكثر النقاد والأدباء الذين يصلون في الساحة الأدبية العربية الواقعيين والحدائثيين هم من الماركسيين حقيقة، واليساريين والحدائثيين والعلمانيين مسمى واحد.

٢- يقول الأديب الإسلامي د. نجيب الكيلاني، وهو يتحدث عن استقبال المحافل الأدبية، وبأنه شابه الكثير من الحذر لأنهم كانوا يعرفون هويتهم العقائدية، وأنه لم يكن كافياً أن ينظر إليه كمجرد أديب كعشرات الأدباء الذين تحفل بهم الساحة الأدبية.. ثم قال إن الناقد المعروف والمشهور آنذاك: أحمد عباس صالح، وهو معروف بميوله الماركسية عندما سأله الصديق - هارفي - لماذا لا تتناول كتابات نجيب الكيلاني بالنقد؟ رد ببساطة: "لأنه إسلامستان؟!".

ثم علق د. الكيلاني قائلاً: نفس الموقف الذي وقوه مع المرحوم الأستاذ على أحمد باكثير!! " ج ٤ صلتني مع الأديب الإسلامي، للكيلاني".

٣- مع الأسف لا أتذكر سنة الطبع، أو دار النشر التي أصدرته، لعدم توفر الكتاب لدي حال كتابة هذا المقال، ولكني ما زلت أتذكر أنني وبعض الزملاء في أواخر السبعينات كنا قد أجرينا مقارنة بين كتاب الأستاذ سيد قطب وكتاب الدكتور، فهالنا الجرأة التي يتمتع بها، والتطابق الكبير بين الكتابين.. ولكننا عندما سمعنا من الدكتور بعد ذلك ما يقوله عن الصحابة الكرام عامة والخليفة الراشد الثالث عثمان خاصة... زال استغرابنا حيث زعم - وهو يدرسنا - مادة الأدب في العصر الإسلامي: " أن الصحابة رضي الله عنهم المهاجرين والأنصار الذين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم- كانوا يتصارعون على السلطة كما يتصارع عليها أي حزبين في الوقت الحاضر " ولا شك أن هذا تكرار لعبارات المستشرقين، ومخالف لمنطق الأحداث..

٤- كتب الدكتور أخيراً مقالاً طويلاً بعنوان: (جدلية الفكر والفن في الشعر العربي الحديث " خلاصته أن شعرنا العربي الحديث، ما هو إلا شعر، أمل دنقل، ونزار قباني، ومحمود درويش، وأدونيس، الذي قال عنه: (بأنه يحسن الظن بعلمه وفنه) وغيرهم من شعراء الحداثة، والخلاعة والمجون، واليسار، على اعتبار أنهم في نظره، (هم الشعراء الذين يعيشون هموم بيئتهم، ويعالجون قضايا وطنهم ومجتمعهم، وأنهم الشعراء المسئولون والمشغولون بالفكر الإنساني - يقصد الأممي - وأنهم الذين يرون في الشعر أداة نضال!! في (معارك) (البناء، والحرية، والتقدم)، انظر مجلة الفيصل عدد سبتمبر ١٩٨٨.

ونحن لم نشر إلى ما في بحثه من مغالطات وأخطاء واستعراض يعوزه التحقيق العلمي والمنهجي التي طالما سئنا سماعها منهم... فذلك ما قد نتعرض له ، يوماً ما ولكننا نشير إلى أن الدكتور قد مارس عملية التعقيم ضد الشعراء الإسلاميين المعاصرين بشكل مفضوح لا حياء فيه! ومع ذلك فلو أن الأمر وقف عند هذا الحد لقلنا: ناقد يساري حاقد لا يسعه الخروج على التعليمات!! لكنه زعم أن غير الحداثيين ما هم "إلا متسكعون يرفضون وظيفة الشعر الإنسانية ، متخاذلون يخشون مواجهة الواقع" ، فهل يصدق كلام الدكتور على الشعراء الإسلاميين أمثال: يوسف العظم ، والأميري، والأعظمي وغيرهم...

٥- ذكر الأستاذ محمود شاکر في مقدمة كتابه (المنتبي) أنه تخرج من القسم العلمي الثانوي ، وأن الدكتور طه هو الذي لم أقنعه على دراسة الأدب.

٦- انظر القصة بكاملها، في مقدمة كتاب الأستاذ شاکر (المنتبي) تحت عنوان: قصة هذا لكتاب وفي الشعر الجاهلي ، لمحة من فساد حياتنا الأدبية ، طبعة مطبعة المدني ، عام ١٩٧٣ م.

٧- وكذلك انظر قصته في كتاب "المنتبي" وأصله البحث الذي نشرته (المقتطف) سنة ١٩٣٦ م.

٨- كان ذلك في أواخر عام ١٩٦٤ م وقد استقال غير الزبيري من الوزارة احتجاجاً على النهج الذي كان يسير عليه القادة العسكريون حينها، انظر كتاب "التاريخ العام لليمن" ، ٢٣٤/٥ - ٢٣٥ ، للأستاذ محمد يحيى الحداد ، الطبعة الأولى عام ١٩٨٦ م ، منشورات دار المدينة.

٩- وهو الأمر الذي كان يشغل الزبيري رحمه الله ، لأنه كان يرى أن الشباب الواعي والمتعلم هم مفتاح التغيير في اليمن ، لذلك كان لا يتولى إلا وزارة التربية والتعليم في كل الحكومات التي شارك فيها.

١٠- هو الأستاذ الشاعر والأديب أحمد محمد الشامي ، انظر كتابه " من الأدب اليمني" ص ١٠٦.

١١- انظر القصيدة كاملة في كتاب: الزبيري شاعر اليمن الثائر ، ص ١٠٤.

١٢- فعلوا ذلك معه بعد أن عانى طوال حياته من الإهمال والنسيان المتعمد ، فلما رأوا إقبال جيل الصحوة الإسلامية على كتبه ومؤلفاته عمدوا إلى الأسلوب الآخر وهو تفسير أدبه من وجهة نظرهم!!!.

١٣- انظر ترجمته كاملة في الجزء الأول من كتاب ،سلسلة شعراء الدعوة الإسلامية) للجدع، وجرار، طبعة ونشر مؤسسة الرسالة، عام ١٩٧٨ م ..حيث جعله على راس قائمة شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.

١٤- وأظن أنه وضح أن عملهم هذا ما هو إلا تنفيذ وترجمة لتلك التعليمات التي يتلقونها من دوائر الاستعمار والتي أشرنا إليها فيما سبق!.

حديث طاغية في القبر

مروان كجك

مضى العهد الذي يعد وجاء الهم والنكد
ولم أعلم بأن يدي غداة الروع ترتعد
وبتّ اليوم منفرداً فلا خلّ ولا ولد
أجيل الطرف ملتماً فألقى الكل قد بعدوا

ويذهب بي حصاد الأمس مثل البرق يتقد
إلى ما كنت أنكره وأزعم أنه الفند
فأين الآن من زعموا بأني الخالد الفرد
وأني الفارس المقدام والعمدان والوتد
وأني صانع الأمجاد وي أم أنهم جحدوا
أراني كنت منخدعاً على الأوهام أعتد
فكم أمسيت منتقشاً كأني في الوغى الأسد
وكم أصبحت منتشياً لأن القوم قد سجدوا
فقلت لعلهم صدقوا بأني المونل الصمد
ولولا ذاك ما هتفوا لتحي الدهر يا أحد
وكانت صيحة أخذت بلبي والحجا شرد
فلم أعبا بنصح أخ ولم أنصت لمن نقدوا
ودارت بي كؤوس الطيب ش والآثام والمضد
فلم ألمس ولم أبصر ولم أسمع لمن وفدوا
فيا ليت الذي بيني وبين الأمس مفتقد
وأمثالي وإن عظموا بهذي الأرض ما ولدوا
فهذي الحفرة التعساء في الإيذاء تجتهد
لظاها سابغ اللمسات في أنحائها الزرد
لها فيح شديد الوطء في الحلقوم ينعد
نسيت لهوله أمسي وضقت لفرط ما أجد
ودالت دولة الطغيان والأذنان قد رقدوا
هنا وحدي أسير القبر ر ضاع الزهو والغيد
سيوفي كنت أحسبها تعيش الدهر تحصد
فخانتني وما صدقت وكانت دائماً تعد
فأين الآن حاشيتي وذاك الجمع والعدد
أراهم كلهم دخلوا جحور الذل واختصدوا
أو ارتدوا على الأعقاب فليجدوا الذي أجد

تراجم

السلطان سليمان بن محمد

محمد أمحزون

هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل ، من سلاطين الدولة الحسنية بالمغرب الأقصى ،
بويغ بفاس عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١م) بعد وفاة أخيه اليزيد ، كان سلفياً محباً للسنة ، قامعاً للبدعة
، محباً للعلم والعلماء ، له حواش وتعليق على بعض الكتب ، وقد عني بإخضاع القبائل ، وقمع أهل
البدع والخرافات وإحياء السنة ، كما عرف بالسعي إلى العودة بالناس إلى منهج السلف في صفاء

العقيدة وسلامتها واستقامة السلوك لإيجاد مغرب قوي موحد يتحدى الأطماع والمؤامرات الخارجية التي تسعى إلى زعزعة استقراره وفقدان سيادته والإطاحة به في شراك التبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية.

ولقد ظل سليمان رحمه الله اثنين وثلاثين سنة مثلاً للفضيلة والحكمة والرفق ، وعمد إلى تركيز نظام الدولة على دعائم شرعية ، فأسقط المكوس واكتفى بالزكاة وأعشار المراسي المشتغلة من طرف اليهود المغاربة والتجار الأجانب، وكان له اهتمام كبير بالعلم والعلماء، حتى تنافس الناس في طلب العلم في عهده ، لما كان يحظى به أهله من طرف السلطان من عناية زائدة ، وعرفت البلاد في عهده حركة معمارية مهمة من بناء المساجد والمدارس والقناطر والأسوار ومد الطرق وتجديد القلاع والحصون رغم الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي واجهته..

ومن الملاحظ أن أرباب الفكر الصوفي المعادي للسلفية - وهي العودة إلى الكتاب والسنة - والذين كانوا يؤثرون إلى حد بعيد على عقليات البربر حرصوا هؤلاء على الانتفاضة ضد السلطان عندما رأوا مصالحهم مهددة بالزوال ، هذا بالإضافة إلى أن جهود سليمان كانت فردية مما كان له الأثر في صعوبة تنفيذ مخططه الإصلاحية.

ومما يجب أن ينبه له أن الكُتّاب الغربيين ومن سار على دربهم من الملحدون اليوم المتسمين بأسماء إسلامية، المقادير للإفرنج، المتخلين عن كل خُلُق وفضيلة زاعمين بجهلهم وتقليد الأعمى أن هذا هو سبيل الرقي والمدنية حاولوا جميعاً تشويه سيره هذا الرجل والانتقاص من مكانته نظراً للافتراءات والادعاءات الباطلة التي نشرها حول سياسة المغرب في تلك الفترة (١٢٠٦ - ١٢٣٨ هـ/١٧٩١-١٨٢٢م) بوصف السلطان سليمان بأنه مارس سياسة العزلة وأغلق منافذ الاتصال مع البلدان الأوروبية ، وبذلك أصبح المغرب متخلفاً ولم يعد يواكب التقدم العلمي والعصر المتطور. وجدير بالإشارة أن هذه الحملة على السلطان سليمان وربط ما يتهمه الخصوم به من عزلة وتقوقع باعتناقه مذهب الوهابي إنما يراد منها الطعن في الإسلام ورميه بالتزمت والانغلاق لاسيما وأن الوهابية ليست مذهباً فقهياً بل دعوة إلى الالتزام بالكتاب والسنة وإحياء سيرة السلف الصالح.

إن أعداء الإسلام يحاولون على الدوام وبكل ما يملكون من وسائل هدم هذا الدين وطمس معالمه لأنه يقف جداراً منيعاً في وجه أي غزو فكري وسياسي واقتصادي.

لست أدري كيف تجاهل هؤلاء الموتورون الحاقدون أن الإسلام دين العلم والحضارة والتقدم ولولا انفتاح المسلمين لما استطاعت أوربا أن تصل إلى ما وصلت إليه الآن من مدنية وتقدم علمي؛ فعلى ضوء المنجزات الإسلامية في العصور الوسطى وعلى هديها أخذت أوربا المنهج التجريبي وبنيت لنفسها الشخصية العلمية الرائدة، وأقامت مدنيته الحديثة، إنهم يريدون بالانفتاح أن يفتح المسلمون أبوابهم أمام التيار الثقافي الغربي لتكريس التبعية لهم في مجالات الحياة المختلفة، أما رفض ذلك التبعية والالتزام بمقتضيات الإسلام من التميز والعزة والوقوف في وجه الأطماع فذلك كله في نظر الأعداء عزلة وتخلف.

إن السلطان سليمان كانت له علاقات مع الدول الأوروبية عن طريق القناصل الممثلين لدولهم والمقيمين في طنجة ، ولكن كان حازماً في سياسته حيث كانت الدول الأوروبية الممثلة بالمغرب تؤدي إتاوة سنوية أو هدايا. فالسويد كانت على سبيل المثال تؤدي إتاوة قدرها (٢٥ ألف) ريال مغربي، وقد تجلت سياسة سليمان في استغلال التنافس بين الدول الأوروبية لحماية المغرب من أطماعها ، كما تجلت في التحكم في التجارة المغربية وعدم إطلاق الحرية للأوروبيين في اقتناء ما يريدون، وفي فرض الرسوم الجمركية بكل ميناء لجباية الأعشار من التجار الأوروبيين ، وفي

تجهيز أسطول بحري يمارس أعمال الجهاد ضد سفن الدول الأوروبية التي لم تعقد هدنة معها ، علاوة على تبني سياسة الإصلاح الداخلي عن طريق إشاعة الوعي الإسلامي الصحيح لولا عناد وتآمر المناوئين وأهل البدع. وهكذا إزاء هذه المواقف الدالة على اليقظة والحزم من قبل السلطان للمحافظة على سيادة المغرب وإصلاح أوضاعه الداخلية لم يسع الصليبيين الذين أثيرت مخاوفهم إلا تزييف الحقائق التاريخية ورميه بالعزلة والتخلف نظراً لأنه ضيق الخناق عليهم ولم يسمح للدول الصليبية باحتواء المغرب في عهده.

الهوامش :

- *- انظر ترجمة السلطان سليمان عند أبي القاسم الزياني: "الترجمانة الكبرى"، تحقيق عبد الكريم الفيلاي ، المحمدية ، مطبعة فضالة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف ، بباريس ، المطبعة الجمهورية ، ١٣٠٣هـ/١٩٧٦م.
- ومحمد بن عثمان المكناسي: الإكسير في فكاك الأسير ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس.
- ومحمد الضعيف الرباطي: تاريخ الدولة السعيدة ، تحقيق أحمد العماري، الرباط: دار المأمون ١٩٨٦هـ/١٤٠٦ م.
- واكنسوس: الجيش العرمرم ، فاس ، المطبعة الحجرية ١٣٣٦هـ /١٩١٧م.
- ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، طبعة مصر ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.
- وعبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس ، طبعة فاس ١٣٤٦هـ/١٩٢٧ م.
- والناصري: الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، مطبعة دار الكتاب، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

شئون العالم الإسلامي ومشكلاته

الشيخ حسن خالد وأهل السنة في لبنان

خسارة كبيره تعرض لها أهل السنة في لبنان بمقتل الشيخ حسن خالد الذي كان الرمز المتبقي لهم في بلد تسوده شريعة الغاب ، بل أسوأ من ذلك ، خمسة عشر عاماً والبلد يغرق في الدماء ، ولا أحد يريد أن تتوقف هذه الوحشية في التعامل ، ولا أحد ينبض له عرق من الإنسانية لوقف هذا النزيف.

كانت دار الفتوى هي ملجأ الجميع في بيروت ، وكان الشيخ يداور ويتلطف ليبقى لأهل السنة بعض الخيوط التي يستطيعون التمسك بها في أجواء (المليشيات) وزعماء الأحياء و(الحارات). إن الطوائف الأخرى في لبنان ومن يساعدهم يستعملون مع أهل السنة المثل القائل: (استضعفوك فأكلوك) فأهل السنة هم الوحيدون الذين ليس لهم مليشيات ، وهم الوحيدون الذين لا يفرضون (الخوة) و (البطجة) على رقبة الشعب المسكين ، ولذلك أصبحوا طعمة لكل طامع ، ووسيلة لتفجير الأوضاع وعدم استقرارها ، فإذا ما هدأت الأمور أو في طريقها إلى الهدوء وظهر في الأفق بعض المبشرات فإن الضحية والتجربة هم (أهل السنة)..

وقد يقال: ولماذا لا يكون لهم قوة تردع من يعتدي عليهم؟ هذا سؤال يوجه إليهم ونحن لا نريد تبرير تصرفاتهم ، ولكن حتى في الوقت الذي كان عندهم بعض القوة - على خلل وضعف - ضربت هذه القوة من الطوائف الأخرى.

كان الشيخ حسن خالد رحمه الله ذا شخصية هادئة ، يريد الخير للبنان ، وليس عنده ما يخيف ، فلماذا قتلوه؟ طبعاً لأنه ليس وراءه أحد ، وبقتله تتفجر الأوضاع وتستمر في طريقها المسدود ، وأيضاً يستريحون ، من شخصية كبيرة تقبل الحوار لإنقاذ لبنان ، كما استراحوا من الشيخ صبحي الصالح رحمه الله ، الذي لم يكن عنده مليشيات ولا عصابات ، ولم يتحزب يوماً مع أحد . إن الأعداء يعلمون وإسرائيل تعلم أن أهل السنة هم في النهاية الذين يتصدون لكيد اليهود في فلسطين ، أو كيد الشيوعية في أفغانستان ، ولهذا هم المستهدفون دائماً ، والكيد والحقد موجه لهم دائماً ، وإنها شنشنة نعرفها من أزم ...

أزمة ديون العالم الثالث التاريخ يعيد نفسه

إن أسباب أزمة ديون العالم الثالث لم تتغير منذ مائة عام ، تبدأ المشكلة بتهاكك دائنين شرهين على الإقراض ، وحرص منهم على مد السكك الحديدية في الصحاري المترامية الأطراف ، وإقامة مصانع في الأدغال ، هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى حكام دكتاتوريون يجمعون بين الفساد والجهل ، تفتتح شهيتهم وشراهتهم إلى القروض ، فيحولون قسماً كبيراً منها إلى جيوبهم ، أو يعيدون قسماً آخر منها إلى حساباتهم في البنوك الغربية ، وبعد وقت قصير يحين موعد تسديد هذه الديون ، وهنا تبدأ الأزمة.

وهكذا كانت بداية مثل هذه الأزمة في الثمانينيات من القرن الماضي عندما حدث ما اصطلح على تسميته بأول أزمة ديون عالمية ، وذلك بعجز الدولة العثمانية عن تسديد ديونها المستحقة ، وإعادة المفاوضات بشأنها.

وهاهي الأزمة تعيد نفسها في الثمانينيات من هذا القرن ، حيث أقرض الغرب المكسيك والبرازيل وفنزويلا وغيرها من دول العالم الثالث المفلسة التي اعتادت الاقتراض ، واستحلت طعمه.

إن ما يمكن تعلمه من دروس التاريخ العثماني ؛ هو أن علاج بعض المشاكل قد يزيدنا تفاقمًا وسوءاً. فالدولة العثمانية نقلتها مشكلة الديون من كونها "رجل أوربا المريض" إلى أن تصبح "رجل أوربا الميت" ، ولم تفلح جهود الأوربيين في إحياء الجثة إلا في خلق مشاكل جديدة. وفي هذه الواقعة التاريخية فائدة وعبرة لوزير الخزانة الأمريكي "نيقولا بريدي" الذي يحاول أن يصوغ خطه لتخفيف ديون العالم الثالث ، بينما كان سلفه "جيمس بيكر" مصرأً على تسديد المقترضين (المفلسين) ديونهم بكاملها دون نقصان. أما الآن فإن بريدي يقترح أسلوباً أكثر ليونة وذلك بالتنازل عن جزء من هذه الديون.

إلا أن التجربة العثمانية لا توحى بأن أي من الحلين يمكن تطبيقه بسهولة! فإذا لجأنا إلى خيار (بيكر) فإن ذلك يتطلب من المقرضين التدخل بشكل سافر في إدارة اقتصاد الدول المقترضة.

وإذا لجأنا إلى خيار (بريدي) فإن ذلك سيؤدي إلى انهيار سمعة الدول المقترضة أمام العالم، وفقدان الثقة بها، كما حصل لسمعة الدولة العثمانية بعد عام ١٨٧٥م. وقد لاحظ "برنارد لويس" (١) أن الشيء الذي لم يتغير خلال قرن من الزمن - رغم كل التغيرات التي حصلت - هو جهل المستدينين وجشع الدائنين. وقع العثمانيون أول الأمر تحت وطأة الديون لأسباب تشبه كثيراً أسباب استئانة دول العالم الثالث، وهي في شراء أسلحة (عصرية)، فعندما وقعت حرب القرم عام ١٨٥٤ لم يكن على العثمانيين ديون تذكر، ولكن السلطان عبد المجيد الذي كان حريصاً على مساعدة بريطانيا وفرنسا ضد روسيا أصدر مرسوماً يسمح فيه للخرينة باقتراض ٣ ملايين جنيه، وكانت تلك بداية نهم لا يشبع من قبل الأتراك إلى الأموال الأجنبية، وذلك ببيعهم سندات ديون إلى مستثمرين أوروبيين خصوصيين، وغدا الاقتراض من الخارج لديهم عادة روتينية سهلة.

كتب المؤرخ البريطاني اللورد كنروز عن تلك الفترة من التاريخ العثماني يقول: "أصبح الاقتراض من البنوك الغربية غاية في السهولة، فقد كان المستثمرون الأوروبيون يتفعلون خيراً بما يردهم من تقارير مشجعة حول المصادر الطبيعية الضخمة في تركيا، ولكنهم تناسوا حقيقة عجزها عن استثمار تلك الموارد، وقصورها الفادح في تسيير المسائل المالية.

وكان لدى العثمانيين مرض آخر معروف لدى العالم الثالث، وهو نزعة القادة إلى إنفاق الأموال الطائلة من مال الشعب على أنفسهم ومصالحهم الخاصة، وقد تفاقم هذا الأمر باعتلاء السلطان عبد العزيز العرش عام ١٨٦١م، فقد كتب السير إدوين بيرز في الكتاب السنوي لعام ١٩١٧: "كانت الإدارة المالية فاسدة تماماً، حيث لم يكن يصل إلى خزينة الدولة من أموال الضرائب إلا ٤٠ بالمائة".

وطوال فترة حكم عبد العزيز كانت الديون العثمانية تتراكم، فقد ارتفعت من (٣) ملايين جنيه عام ١٨٤٥م إلى حوالي (٢٠٠) مليون جنيه عام ١٨٧٥ وقد انهار هذا الهرم غير الطبيعي من الديون فجأة في ٦ أكتوبر من تلك السنة عندما عجز العثمانيون عن الوفاء بالتزامهم للدائنين! فأعلن الباب العالي أنه سيدفع نصف الفوائد، وتعهد بالتزامات جديدة تغطي الباقي.

وكما لاحظ كنروز فقد كان هذا عجزاً حطم سمعة الحكومة العثمانية في الخارج، وهكذا بعد دمار رصيدها وتخبط اقتصادها في برائث الفساد عجزت الدولة العثمانية ثانية عن الوفاء بالتزاماتها المعدلة، وانتهى الأمر بالسلطان عبد الحميد أن ألقى السلاح، ووافق على قيام مجلس مشترك: عثماني - أوروبي للإشراف على تسديد الديون.

وكان أن فقد العثمانيون التحكم المستقل باقتصادهم، وسمحوا للتدخلات الأجنبية فيه، فأصبحت مواردهم الطبيعية رهينة بيد القوى الأجنبية، يساعدها عملاء محليون وطابور خامس من اليونان والأرمن، وقد كانت الاضطرابات السياسية والاجتماعية الناجمة عن ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت على ظهور حركة "تركيا الفتاة" وزوال الإمبراطورية إلى درجة يمكن معها التأكيد بأن الديون أدت إلى خنق العثمانيين.

دافيد أغناطيوس / الغارديان ويكلي ١٥ / ٥ / ١٩٨٩ م

الهوامش :

١- مستشرق أمريكي مشهور متخصص بشؤون العثمانيين.

الشيخ سياف يرد على الحملة الإعلامية التي تشن على المجاهدين العرب

دأبت بعض الصحف الغربية في الآونة الأخيرة على إثارة الفتنة والضرب على وتر العصبية المنتنة ، فراحت تكتب وتحاور الأفراد من داخل أفغانستان حول ما أسمته (العرب والوهابية) وربما يكون قد تجاوب معها بعض الجبهة المتعصبين فراحوا يرددون هذه العبارة لإبعاد الأخوة العرب الذين يشاركون في الجهاد الأفغاني.

والأخوة العرب ومن شتى الأقطار العربية يفخرون إذا كانوا يتبعون منهج أهل السنة ، منهج السلف ، وهي ظاهرة طيبة بين صفوف الشباب الإسلامي في هذا العصر ، وليس هناك شيء اسمه (الوهابية) وإنما هناك مصلح مجدد اسمه محمد بن عبد الوهاب ، كأبي مصلح إسلامي أراد العودة إلى منابع الدين الصافية، والذين يرددون هذه الكلمة ويعتبرونها تهمة معروفون في العالم الإسلامي. إن هؤلاء الأخوة العرب ليعتبرون الإمام أبا حنيفة من أئمة أهل السنة ، وهذا الإمام له مواقف رائعة في الدفاع عن السنة ومحاربة المبتدعة الذين انشقوا عن أهل السنة وكتب الأحناف مملوءة بالتحذير من الباطنيين.

وندعو إخواننا العرب أن ينتبهوا لهذه المكيدة ، ويذكروا الناس الذين لا يعلمون بكتاب (الفقه الأكبر) للإمام أبي حنيفة وكتب أبي يوسف ومحمد ابن الحسن ، والطحاوي في الدفاع عن السنة. وقد تنبّهت -والحمد لله -وكالة البيان الصحفية لهذا الأمر فسألت الشيخ السياف رئيس وزراء أفغانستان عن هذا الموضوع ، وذكرت مقتطفات من أقواله ، ونحن نقل هذه المقتطفات كما جاءت رداً على مثيري الفتنة والتفرقة.

"في تصريح خاص لمجلة البيان الناطقة بالعربية رد رئيس حكومة المجاهدين المؤقتة الشيخ عبد رب الرسول سياف على الحملة الشرسة التي تشنها في هذه الأيام وسائل الإعلام الغربية وخاصة إذاعة ال بي بي سي ضد المتطوعين المسلمين الذين يعملون في الساحة الأفغانية. فقال: إن الدنيا بأسرها قد تكالبت على أمتنا الإسلامية وأن أعداء الإسلام يتضايقون من أي مظهر يدل على وحدة الإسلام والمسلمين". وأضاف سياف: "لقد جعل الله الجهاد الأفغاني سبباً من أسباب تجمع بعض أبناء أمتنا الإسلامية المخلصين الذين توافدوا إلى خنادق القتال من شتى أقطار العالم الإسلامي والتحموا كتفاً لكتف ودماءً لدم ، وأصبحوا صفاً واحداً في مقابلة من يريد اجتياح أمتنا الإسلامية واستئصال شأفتها وعقيدتها من جذورها".

ثم تحدث الأستاذ سياف عن دور المتطوعين من المسلمين في الجهاد الأفغاني فقال: لقد كان لهؤلاء الغرباء القادمين لمساعدة إخوانهم الأفغان والوقوف بجانبهم أطيب الأثر في رفع الروح المعنوية لدى المجاهدين حيث شكلوا بتواجدهم نموذجاً مصغراً للوحدة الإسلامية وجنسياتها "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

ثم عرّج الشيخ سياف على ما ينشره الإعلام الغربي من تهمة وأكاذيب باطلة حول هؤلاء المتطوعين قائلاً: لقد أغاظت الوحدة الإسلامية هذه قلوب أعداء الإسلام وضاقت بها صدورهم فلم يستطيعوا تحملها وبدءوا بإعلان حربهم الشعواء بشتى الوسائل والأساليب ، وها نحن نسمع أبواق الكفر والمنافقين تتحدث عن هؤلاء الأخوة الذين سارعوا لخدمة هذا الجهاد ودعم إخوانهم المجاهدين وتتهمهم وتطعن فيهم وتخلق عليهم الكذب والأقويل.

وأردف سيف يقول: إن هدفهم الرئيسي من وراء كل هذا هو إحداث فجوة بين أبناء الشعب الأفغاني المجاهد المسلم وبين إخوانهم في الله والعقيدة ، ويهدفون كذلك إلى النيل من طريق إعادة وحدة الأمة الإسلامية وتفريغ الساحة للمؤسسات الكفرية والإلحادية حتى تنفرد بالإفساد داخل ساحات أفغانستان في المستقبل القريب باسم بناء وتعمير أفغانستان.

وتحدث الشيخ سيف عن الأنصار العرب فقال: إن هؤلاء لم يدخروا من الدنيا شيئاً بل باعوا دنياهم من أجل الدفاع عن دينهم وعن عقيدتهم وإيمانهم والذود عن أعراض هذه الأمة وحرماتها، وبدأت أبواق الخبث والعفن تنتهم إخواننا المتطوعين العرب بأنهم ، يحاربون مذهب أهل البلاد وأنهم كذا.. وكذا وكل هذه الأمور لا أساس لها من الصحة ولا رصيد لها من الواقع. وأن استشهاد العديد منهم لأصدق دليل على أنهم جاءوا ابتغاء مرضاة الله. وأن هذه الحملة الإعلامية الشرسة التي تشن ضد إخواننا الأنصار الذين نعتبرهم أفلاد أكبادنا وهم أعلى من في الأرض من بني البشر الأحياء، كما نعتبرهم أصدق نماذج في ساحة الأخوة الإسلامية.

ثم خاطب سيف الأنصار بقوله: أطمئنكم بأن الأفغان متنبهون إلى هذا الأمر ، ويعرفون حقائق هذه الحملة البشعة ، فواصلوا عملكم بكل ثقة واطمئنان ، وواصلوا مسيرتكم في درب الجهاد درب العزة ، ولن نسمح لهم بأن يفرقوا بيننا".

لمحات عن إندونيسيا

تشكل جاوة وسومطرة جزيرتين اثنتين من الجزر ذات الجمال الطبيعي التي تكون جمهورية إندونيسيا البالغ عددها (١٣٦٦٠) جزيرة (خمس جزر رئيسية ، وثلاثون أرخبيلًا) ، ومساحتها (٢) مليون كيلو متر مربع ، وفيها مائة بركان نشط تخرج منها الأبخرة والغازات ، ويبلغ عدد السكان (١٨٠) مليون ، وبهذا التعداد تمثل إندونيسيا خامس أكبر دولة في تعداد السكان في العالم بعد الصين والهند والاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة.

وتمتد جزر إندونيسيا عبر (٣٢٠٠) ميلاً من المياه فاصلة المحيط الهندي عن المحيط الهادي ، وقد استغل المستعمرون الهولنديون إندونيسيا لمدة تقرب من (٣٥٠) سنة، ولكنهم لم يوحّدوا الجزر تحت إدارة مركزية مطلقاً ، لذا فعندما نالت إندونيسيا استقلالها سنة ١٩٤٩م لم ترث حكومة موحدة ولا هوية وطنية واحدة.

الشعار الوطني (الوحدة في الاختلاف) هو شعار صنع في القرن الخامس عشر ، يصف حالة البلد اليوم بشكل ملئم ، وتحوي التشكيلة الإندونيسية: الجاويين شديدي التهذيب ، والسندانيين عديمي الاهتمام ، الباليين البوجيين الملاحين ، والمندانين الصناعيين، وبقايا من البرتغاليين الذين احتلوا البلاد عام ١٥١٠م.

بحلول سنة ١٩٦٥ كانت إندونيسيا الفتية تغرق بسبب التبذير الوطني والإفراط السياسي من قبل الرئيس الأول (سوكارنو) وكانت البلاد تنجرف نحو سيطرة الحزب الشيوعي الإندونيسي ، أكبر حزب شيوعي في العالم خارج الصين والاتحاد السوفييتي ، فتحرك (سوهارتو) بسرعة فحى (سوكارنو) وسيطر على مقاليد البلاد ، وكان أول عمل قام به حل الحزب الشيوعي مما أدى إلى ملاحقة الشيوعيين وقتلهم ، وكان عدد كبير من القتلى من الصينيين ، وبعد مضي أربع وعشرين سنة مازالت المدارس الصينية والأحزاب الصينية محظورة ، وقد جمع حكم (سوهارتو) بين

التهديب والمكر والقبضة الحديدية. فقد حل الأحزاب العنيدة ، وفتح أبواب إندونيسيا للمعونة الخارجية والاستثمار ، وفي السبعينات بدأ الانتعاش بسبب البترول (يقدر احتياطي إندونيسيا المعروف من البترول تسعة ملايين برميل) واليوم تلتف الطرق الحديثة حول الجبال وعبر الأدغال في سومطرة وسليبي ، وفي إيريان وتنتشر الآن حوالي ١٣٦ ألف مدرسة ابتدائية جديدة عبر القرى البعيدة ، وقد تضاعف إنتاج الأرز، وتوجد مشاريع صناعية ضخمة في البلاد ،مثل منشآت الغاز الطبيعي.

إن أربعاً وعشرين سنة تعتبر طويلة بالنسبة للتاريخ السياسي الساخن لآسيا الاستوائية ، ويتساءل الكثير: ماذا سيحدث بعد سوهارتو؟ في الانتخابات الإندونيسية سنة ١٩٨٧ فاز حزب سوهارتو السياسي المدعوم من الجيش بـ ٧٣% من مقاعد مجلس الشيوخ ثم عين سوهارتو مائة ضابط في الجيش في ذلك المجلس ، كما عين كل أعضاء مجلس الشورى الوطني الخمسمائة ، ثم انتخبه المجلس للمرة الخامسة كرئيس لفترة خمس سنوات ، ويعتبر الرئيس الحالي كبيراً جداً في السن إلا أنه يواجه تحديات لم يواجهها من قبل فمعدل دخل الفرد بقي (٣٥٠) دولاراً في السنة ، وهذا دون مستوى معدل دخل الفرد في الفلبين ، ويبلغ عدد العمال في وظائف دون مستواهم ٤٠% وينضم إلى العمال سنوياً مليوناً عاملاً جديد ، ومع زيادة عمليات الاقتراض زادت الديون وزاد الفساد من المشاكل الاقتصادية حيث تنتشر الرشاوى والعمولات العالمية المعقدة ، ومن خلال شبكة من الاحتكارات يتحكم الإندونيسيون الصينيون باستيراد العديد من السلع الرئيسية ، محققين مكاسب كبيرة لأنفسهم وأنصارهم ، وتعتبر عائلة سوهارتو وأقاربه المختلفين ومساعديه من المستفيدين . وفي نقاش لي مع الرئيس (سوهارتو) نفسه تحدثت فيه عن الفساد الموجود وعن استفادة عائلته وأصدقائه من وجوده في الحكم رفض الاعتراف بشيء من هذا ، وقال: إن من يقول هذا ينظر للأشياء بعين واحدة مغلقة الأخرى. فأجبت: بالطبع يا سيادة الرئيس لكنك كجندي سابق تعلم انك يجب أن تغلق عيناً عندما تصوب على الهدف. فأجابني ببرود شديد: حتى لو أغلقت عيني الاثنتين فإني ما زلت أستطيع إصابة الهدف".

ويقطن العاصمة جاكرتا ثمانية ملايين شخص ، وفيها المباني الحديثة والفنادق والسفارات بالإضافة إلى الأعشاش والبيوت والأحياء القديمة الفقيرة.

وتعتبر جاوة من أكثر المناطق القروية كثافة سكانية في العالم ، ويعمل حوالي نصف سكان جاوة بالزراعة ، حيث يمتلك ثمانون بالمائة منهم أرضاً لا تكاد تكفي لسد رمقهم ، وقد أعادت الحكومة إسكان أكثر من ٧٠٠ ألف عائلة ضمن المشروع الحكومي للهجرة - الداخلية من المناطق المكتظة بالسكان- إلى حوالي ٦٠٠ مستوطنة في الجزر البعيدة.

إن تسعين بالمائة من السكان مسلمين ، وأشدهم تمسكاً بالإسلام (الأسهبون) الذين يقطنون السهل الساحلي شمال سومطرة ، فقد أعلنوا الجهاد ضد حكومة جاكرتا عام ١٩٥٣ ولم تهدأ الحرب إلا بعد أن اعترفت الحكومة بنوع من الاستقلال الداخلي وتطبيق الشريعة الإسلامية، وأشد الأقوام بدائية يتواجدون في إقليم (دامينا) وينتمون إلى قبيلة ماسكونا، وأرضهم عبارة عن أدغال لا يمكن عبورها تتخللها محاجر كلسية ، ووهاد ضيقة ، وقد خاضت قبيلة (الماسكونا) لعشر سنوات خلت حروباً قبلية عنيفة وقتلوا كل أجنبي تجرأ على تحدى حرمة أراضيهم ، إن الطريق الوحيد للوصول إلى هذه القبيلة هو عن طريق الجو ، وهكذا جاء المبشرون بالنصرانية ، وقد وجدت هناك أمريكيين من الكنيسة الإنجيلية يدرسون اللغة القبلية ، وعندما سألت شاباً من القبيلة: كيف تعرفت الدولة عليكم ، أجابني بقوله: جاءوا منذ ثلاث سنوات وأخبرونا ألا نستقبل المنصرين ، وعندما سألته إن كان يعرف

من هو رئيس إندونيسيا ،قال بسرعة (باك سوهارتو) و (باك) تعني الأب ، ثم قال: إنه الكبالا الكبير ، والكبالا تعني رئيس القبيلة.

عن مجلة ناشيونال جيوغرافيك يناير ١٩٨٩

لمحات عن إندونيسيا

تشكل جاوة وسومطرة جزيرتين اثنتين من الجزر ذات الجمال الطبيعي التي تكون جمهورية إندونيسيا البالغ عددها (١٣٦٦٠) جزيرة (خمس جزر رئيسية ، وثلاثون أرخبيلًا) ، ومساحتها (٢) مليون كيلو متر مربع ، وفيها مائة بركان نشط تخرج منها الأبخرة والغازات ، ويبلغ عدد السكان (١٨٠) مليون ، وبهذا التعداد تمثل إندونيسيا خامس أكبر دولة في تعداد السكان في العالم بعد الصين والهند والاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة. وتمتد جزر إندونيسيا عبر (٣٢٠٠) ميلاً من المياه فاصلة المحيط الهندي عن المحيط الهادي ، وقد استغل المستعمرون الهولنديون إندونيسيا لمدة تقرب من (٣٥٠) سنة، ولكنهم لم يوحّدوا الجزر تحت إدارة مركزية مطلقاً ، لذا فعندما نالت إندونيسيا استقلالها سنة ١٩٤٩م لم ترث حكومة موحدة ولا هوية وطنية واحدة.

الشعار الوطني (الوحدة في الاختلاف) هو شعار صنع في القرن الخامس عشر ، يصف حالة البلد اليوم بشكل ملائم ، وتحوي التشكيلة الإندونيسية: الجاويين شديدي التهذيب ، والسندانيين عديمي الاهتمام ، الباليين البوجيين الملاحين ، والمندانين الصناعيين، وبقايا من البرتغاليين الذين احتلوا البلاد عام ١٥١٠م.

بحلول سنة ١٩٦٥ كانت إندونيسيا الفتية تغرق بسبب التبذير الوطني والإفراط السياسي من قبل الرئيس الأول (سوكارنو) وكانت البلاد تنجرف نحو سيطرة الحزب الشيوعي الإندونيسي ، أكبر حزب شيوعي في العالم خارج الصين والاتحاد السوفييتي ، فتحرك (سوهارتو) بسرعة فنحى (سوكارنو) وسيطر على مقاليد البلاد ، وكان أول عمل قام به حل الحزب الشيوعي مما أدى إلى ملاحقة الشيوعيين وقتلهم ، وكان عدد كبير من القتلى من الصينيين ، وبعد مضي أربع وعشرين سنة مازالت المدارس الصينية والأحزاب الصينية محظورة ، وقد جمع حكم (سوهارتو) بين التهذيب والمكر والقبضة الحديدية. فقد حل الأحزاب العنيدة ، وفتح أبواب إندونيسيا للمعونة الخارجية والاستثمار ، وفي السبعينات بدأ الانتعاش بسبب البترول (يقدر احتياطي إندونيسيا المعروف من البترول تسعة ملايين برميل) واليوم تلتف الطرق الحديثة حول الجبال وعبر الأدغال في سومطرة وسليبي ، وفي إيريان وتنتشر الآن حوالي ١٣٦ ألف مدرسة ابتدائية جديدة عبر القرى البعيدة ، وقد تضاعف إنتاج الأرز، وتوجد مشاريع صناعية ضخمة في البلاد ، مثل منشآت الغاز الطبيعي.

إن أربعاً وعشرين سنة تعتبر طويلة بالنسبة للتاريخ السياسي الساخن لآسيا الاستوائية ، ويتساءل الكثير: ماذا سيحدث بعد سوهارتو؟ في الانتخابات الإندونيسية سنة ١٩٨٧ فاز حزب سوهارتو السياسي المدعوم من الجيش بـ ٧٣% من مقاعد مجلس الشيوخ ثم عين سوهارتو مائة ضابط في الجيش في ذلك المجلس ، كما عين كل أعضاء مجلس الشورى الوطني الخمسمائة ، ثم انتخبه المجلس للمرة الخامسة كرئيس لفترة خمس سنوات ، ويعتبر الرئيس الحالي كبيراً جداً في السن إلا أنه يواجه تحديات لم يواجهها من قبل فمعدل دخل الفرد بقي (٣٥٠) دولاراً في السنة ، وهذا دون مستوى معدل دخل الفرد في الفلبين ، ويبلغ عدد العمال في وظائف دون مستواهم ٤٠% وينضم إلى

العمال سنويا مليوناً عامل جديد ، ومع زيادة عمليات الاقتراض زادت الديون وزاد الفساد من المشاكل الاقتصادية حيث تنتشر الرشاوى والعمولات العالمية المعقدة ، ومن خلال شبكة من الاحتكارات يتحكم الإندونيسيون الصينيون باستيراد العديد من السلع الرئيسية ، محققين مكاسب كبيرة لأنفسهم وأنصارهم ، وتعتبر عائلة سوهارتو وأقاربه المختلفين ومساعديه من المستفيدين . وفي نقاش لي مع الرئيس (سوهارتو) نفسه تحدثت فيه عن الفساد الموجود وعن استفادة عائلته وأصدقائه من وجوده في الحكم رفض الاعتراف بشيء من هذا ، وقال: إن من يقول هذا ينظر للأشياء بعين واحدة مغلغلاً الأخرى. فأجبت: بالطبع يا سيادة الرئيس لكنك كجندي سابق تعلم انك يجب أن تغلق عيناً عندما تصوب على الهدف. فأجابني ببرود شديد: حتى لو أغلقت عيني الاثنتين فإني مازلت أستطيع إصابة الهدف".

ويقطن العاصمة جاكرتا ثمانية ملايين شخص ، وفيها المباني الحديثة والفنادق والسفارات بالإضافة إلى الأعشاش والبيوت والأحياء القديمة الفقيرة.

وتعتبر جاوة من أكثر المناطق القروية كثافة سكانية في العالم ، ويعمل حوالي نصف سكان جاوة بالزراعة ، حيث يمتلك ثمانون بالمائة منهم أرضاً لا تكاد تكفي لسد رمقهم ، وقد أعادت الحكومة إسكان أكثر من ٧٠٠ ألف عائلة ضمن المشروع الحكومي للهجرة - الداخلية من المناطق المكتظة بالسكان- إلى حوالي ٦٠٠ مستوطنة في الجزر البعيدة.

إن تسعين بالمائة من السكان مسلمين ، وأشدهم تمسكاً بالإسلام (الأسهيون) الذين يقطنون السهل الساحلي شمال سومطرة ، فقد أعلنوا الجهاد ضد حكومة جاكرتا عام ١٩٥٣ ولم تهدأ الحرب إلا بعد أن اعترفت الحكومة بنوع من الاستقلال الداخلي وتطبيق الشريعة الإسلامية، وأشد الأقوام بدائية يتواجدون في إقليم (دامينا) وينتمون إلى قبيلة ماسكونا، وأرضهم عبارة عن أدغال لا يمكن عبورها تتخللها محاجر كلسية ، ووهاد ضيقة ، وقد خاضت قبيلة (الماسكونا) لعشر سنوات خلت حروباً قبلية عنيفة وقتلوا كل أجنبي تجراً على تحدى حرمة أراضيهم ، إن الطريق الوحيد للوصول إلى هذه القبيلة هو عن طريق الجو ، وهكذا جاء المبشرون بالنصرانية ، وقد وجدت هناك أمريكيين من الكنيسة الإنجيلية يدرسون اللغة القبلية ، وعندما سألت شاباً من القبيلة: كيف تعرفت الدولة عليكم ، أجابني بقوله: جاءوا منذ ثلاث سنوات وأخبرونا ألا نستقبل المنصرين ، وعندما سألته إن كان يعرف من هو رئيس إندونيسيا ، قال بسرعة (باك سوهارتو) و (باك) تعني الأب ، ثم قال: إنه الكبالا الكبير ، والكبالا تعني رئيس القبيلة.

عن مجلة ناشيونال جيوغرافيك يناير ١٩٨٩

لمحات عن إندونيسيا

تشكل جاوة وسومطرة جزيرتين اثنتين من الجزر ذات الجمال الطبيعي التي تكون جمهورية إندونيسيا البالغ عددها (١٣٦٦٠) جزيرة (خمس جزر رئيسية ، وثلاثون أرخبيلاً) ، ومساحتها (٢) مليون كيلو متر مربع ، وفيها مائة بركان نشط تخرج منها الأبخرة والغازات ، ويبلغ عدد السكان (١٨٠) مليون ، وبهذا التعداد تمثل إندونيسيا خامس أكبر دولة في تعداد السكان في العالم بعد الصين والهند والاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة.

وتمتد جزر إندونيسيا عبر (٣٢٠٠) ميلاً من المياه فاصلة المحيط الهندي عن المحيط الهادي ، وقد استغل المستعمرون الهولنديون إندونيسيا لمدة تقرب من (٣٥٠) سنة، ولكنهم لم يوحدا

الجزر تحت إدارة مركزية مطلقاً ، لذا فعندما نالت إندونيسيا استقلالها سنة ١٩٤٩م لم ترث حكومة موحدة ولا هوية وطنية واحدة.

الشعار الوطني (الوحدة في الاختلاف) هو شعار صنع في القرن الخامس عشر ، يصف حالة البلد اليوم بشكل ملائم ، وتحوي التشكيلة الإندونيسية: الجاويين شديدي التهذيب ، والسندانيين عديمي الاهتمام ، الباليين البوجيين الملاحين ، والمدنانيين الصناعيين، وبقايا من البرتغاليين الذين احتلوا البلاد عام ١٥١٠م.

بحلول سنة ١٩٦٥ كانت إندونيسيا الفتية تغرق بسبب التبذير الوطني والإفراط السياسي من قبل الرئيس الأول (سوكارنو) وكانت البلاد تنجرف نحو سيطرة الحزب الشيوعي الإندونيسي ، أكبر حزب شيوعي في العالم خارج الصين والاتحاد السوفييتي ، فتحرك (سوهارتو) بسرعة فحى (سوكارنو) وسيطر على مقاليد البلاد ، وكان أول عمل قام به حل الحزب الشيوعي مما أدى إلى ملاحقة الشيوعيين وقتلهم ، وكان عدد كبير من القتلى من الصينيين ، وبعد مضي أربع وعشرين سنة مازالت المدارس الصينية والأحزاب الصينية محظورة ، وقد جمع حكم (سوهارتو) بين التهذيب والمكر والقبضة الحديدية. فقد حل الأحزاب العنيدة ، وفتح أبواب إندونيسيا للمعونة الخارجية والاستثمار ، وفي السبعينات بدأ الانتعاش بسبب البترول (يقدر احتياطي إندونيسيا المعروف من البترول تسعة ملايين برميل) واليوم تلتف الطرق الحديثة حول الجبال وعبر الأدغال في سومطرة وسليبي ، وفي إيريان وتنتشر الآن حوالي ١٣٦ ألف مدرسة ابتدائية جديدة عبر القرى البعيدة ، وقد تضاعف إنتاج الأرز، وتوجد مشاريع صناعية ضخمة في البلاد ،مثل منشآت الغاز الطبيعي.

إن أربعاً وعشرين سنة تعتبر طويلة بالنسبة للتاريخ السياسي الساخن لآسيا الاستوائية ، ويتساءل الكثير: ماذا سيحدث بعد سوهارتو؟ في الانتخابات الإندونيسية سنة ١٩٨٧ فاز حزب سوهارتو السياسي المدعوم من الجيش بـ ٧٣% من مقاعد مجلس الشيوخ ثم عين سوهارتو مائة ضابط في الجيش في ذلك المجلس ، كما عين كل أعضاء مجلس الشورى الوطني الخمسمائة ، ثم انتخبه المجلس للمرة الخامسة كرئيس لفترة خمس سنوات ، ويعتبر الرئيس الحالي كبيراً جداً في السن إلا أنه يواجه تحديات لم يواجهها من قبل فمعدل دخل الفرد بقي (٣٥٠) دولاراً في السنة ، وهذا دون مستوى معدل دخل الفرد في الفلبين ، ويبلغ عدد العمال في وظائف دون مستواهم ٤٠% وينضم إلى العمال سنوياً مليوناً عامل جديد ، ومع زيادة عمليات الاقتراض زادت الديون وزاد الفساد من المشاكل الاقتصادية حيث تنتشر الرشاوى والعمولات العالمية المعقدة ، ومن خلال شبكة من الاحتكارات يتحكم الإندونيسيون الصينيون باستيراد العديد من السلع الرئيسية ، محققين مكاسب كبيرة لأنفسهم وأنصارهم ، وتعتبر عائلة سوهارتو وأقاربه المختلفين ومساعديه من المستفيدين . وفي نقاش لي مع الرئيس (سوهارتو) نفسه تحدثت فيه عن الفساد الموجود وعن استعادة عائلته وأصدقائه من وجوده في الحكم رفض الاعتراف بشيء من هذا ، وقال: إن من يقول هذا ينظر للأشياء بعين واحدة مغلقة الأخرى. فأجبت: بالطبع يا سيادة الرئيس لكنا كجندي سابق تعلم أنك يجب أن تغلق عيناً عندما تصوب على الهدف. فأجابني ببرود شديد: حتى لو أغلقت عيني الاثنتين فإنني مازلت أستطيع إصابة الهدف".

ويقطن العاصمة جاكارتا ثمانية ملايين شخص ، وفيها المباني الحديثة والفنادق والسفارات بالإضافة إلى الأعشاش والبيوت والأحياء القديمة الفقيرة.

وتعتبر جاوة من أكثر المناطق القروية كثافة سكانية في العالم ، ويعمل حوالي نصف سكان جاوة بالزراعة ، حيث يمتلك ثمانون بالمائة منهم أرضاً لا تكاد تكفي لسد رمقهم ، وقد أعادت الحكومة إسكان أكثر من ٧٠٠ ألف عائلة ضمن المشروع الحكومي للهجرة - الداخلية من المناطق المكتظة بالسكان- إلى حوالي ٦٠٠ مستوطنة في الجزر البعيدة.

إن تسعين بالمائة من السكان مسلمين ، وأشدهم تمسكاً بالإسلام (الأسهيون) الذين يقطنون السهل الساحلي شمال سومطرة ، فقد أعلنوا الجهاد ضد حكومة جاكرتا عام ١٩٥٣ ولم تهدأ الحرب إلا بعد أن اعترفت الحكومة بنوع من الاستقلال الداخلي وتطبيق الشريعة الإسلامية، وأشد الأقوام بدائية يتواجدون في إقليم (دامينا) وينتمون إلى قبيلة ماسكونا، وأرضهم عبارة عن أدغال لا يمكن عبورها تتخللها محاجر كلسية ، ووهاد ضيقة ، وقد خاضت قبيلة (الماسكونا) لعشر سنوات خلت حروباً قبلية عنيفة وقتلوا كل أجنبي تجراً على تحدى حرمة أراضيهم ، إن الطريق الوحيد للوصول إلى هذه القبيلة هو عن طريق الجو ، وهكذا جاء المبشرون بالنصرانية ، وقد وجدت هناك أمريكيين من الكنيسة الإنجيلية يدرسون اللغة القبلية ، وعندما سألت شاباً من القبيلة: كيف تعرفت الدولة عليكم ، أجابني بقوله: جاءوا منذ ثلاث سنوات وأخبرونا ألا نستقبل المنصرين ، وعندما سألته إن كان يعرف من هو رئيس إندونيسيا ، قال بسرعة (باك سوهارتو) و (باك) تعني الأب ، ثم قال: إنه الكبالا الكبير ، والكبالا تعني رئيس القبيلة.

عن مجلة ناشيونال جيوغرافيك يناير ١٩٨٩

أخبار حول العالم السيطرة الروسية في الاتحاد السوفيتي في طريقها إلى الزوال

إن السيطرة الروسية في الاتحاد السوفيتي في طريقها إلى الضعف بسبب ارتفاع معدل الولادة عند المسلمين في وسط آسيا.

فحسب تعداد يناير من هذا العام (١٩٨٩) فإن الروس يشكلون ٥١% من مجموع السكان مقارنة بـ ٥٦% عام ١٩٥٩ ، و ٥٢% في إحصاء عام ١٩٦٩ في حين بلغ مجموع السكان في آخر إحصاء ٢٨٦,٧ مليون نسمة وكان قبل عشر سنوات ٢٦٥ مليون نسمة.

إن نتائج هذا التعداد تعتبر تحولاً ديموغرافياً لازال يثير مخاوف الكرملين خلال ثلاثة عقود ، وإذا ظل اتجاه النمو السكاني على ما هو عليه فإن الأغلبية الروسية ستصبح أقلية في نهاية هذا القرن ومع هذا فإن الأرقام تعطي بعض الراحة لصانعي السياسة السوفيتية الذين يواجهون حالياً باضطرابات قومية على أطراف آخر إمبراطورية مؤلفة من قوميات متعددة ، وعلى الرغم من أن المسلمين لا زالوا يتميزون بنسبة مواليد مرتفعة مقارنة بالسلف ؛ فإن نسبة زيادتهم تراخت قليلاً منذ آخر إحصاء، وأخطر توقعات علماء السكان الغربيين هي أن الشعب الروسي قد يهبط إلى ما تحت ٥٠% في هذا التعداد.

في كتاب مشهور نشر منذ عشر سنوات بعنوان " سقوط إمبراطورية " تنبأ كاتبه بأن الشعب الروسي (١) سيهبط إلى ٨ ر ٤٦% في عام ١٩٩٠ والأرقام تشير إلى أن نسبة الولادات في جمهورية

روسيا خلال عشر سنوات قد ارتفعت قليلاً منذ عام ١٩٧٩ أي إلى ٧% ولكنها لا زالت منخفضة جداً عند نسبة ٣٤% في جمهوريات آسيا الوسطى. وعلى المدى الطويل، فإن تناقص سكان روسيا سوف يجعل من الصعب على السياسيين أن يستمروا في ادعاء تفوق التمثيل في اقتسام السلطة، فالآن يوجد اثنان فقط غير روسيين ضمن الترويك الحاكمة المؤلفة من ١٢ شخصاً، هما وزير الخارجية "داورد شيفارنادزة" من جورجيا، و "فلاديمير شيربتسكي" من أوكرانيا، والمسلم الوحيد (٢) الذي وصل مرة إلى الترويك "حيدر علييف" من أذربيجان قد طرد عند تسلّم "غورباتشوف" السلطة عام ١٩٨٥، واتهم بفضائح رشاوى وفساد، وأجبر على الخروج من دائرة صانعي القرار السياسي ضمن حملة تطهير في صفوف الحرس القديم، وكذلك فإن الإحصاء يظهر استمرار الهجرة من الريف إلى المدينة، حيث بلغ تعداد أهل الريف ٣٤% مقارنة مع ٥٢% عام ١٩٥٩.

الغارديان ويكلي ١٤/٥/١٩٨٩م

هوامش:

- ١ - أي سكان روسيا البيضاء وهي أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتي. (التحرير)
- ٢ - أي ينحدر من أصول إسلامية. (التحرير).

بوتو.. خطوة تتبعها خطوات

جاء في مجلة الإكونومست بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٨٩ ما يلي:
قامت بنازير بوتو بعزل الجنرال حميد غول من منصبه المهم كرئيس للمخابرات العسكرية الباكستانية واستبدلته بالجنرال شمس الرحمن كالمو الذي يعتقد أنه أكثر تقبلاً لنصائح رئيسة الوزراء، وبعزل الجنرال غول تكون بنازير قد نقضت عهداً بعدم التدخل في أمور المؤسسة العسكرية، ويمنح قرار عزل الجنرال غول بنازير بوتو فرصة للتوصل من سياسة الدعم التي تبناها الرئيس الراحل ضياء الحق تجاه المجاهدين الأفغان.. وكان ضياء الحق يؤمن أن بإمكان باكستان والمجاهدين سوياً تحقيق نصر للإسلام، وذلك بإقامة حكم إسلامي في كابل وإنشاء كتلة إسلامية على تخوم الحدود الروسية، وكانت فئات المجاهدين الأصوليين (١) تتلقى في عهده حصة الأسد من المساعدات العسكرية والمالية وقد سببت هذه السياسة انتقادات متكررة للجنرال غول الذي كان يشرف على تنفيذها.

أما بنازير، فإن إيجاد نهاية مبكرة للحرب الدائرة في أفغانستان أهم لديها من تحقيق نصر إسلامي، كما أنها تواقفة إلى حل مسألة تواجد ما يقرب من ثلاثة ملايين أفغاني على أرض باكستان. ومن جهتها علقت حكومة كابل على قرار عزل الجنرال غول بقولها إن باكستان مستعدة لمفاوضات السلام وأن تفكير الحكومة الباكستانية يدل على رغبتها في السير في هذا الطريق. ومن المرجح أن تقوم بنازير بدفع فئات المجاهدين وحكومتهم الانتقالية-التي تتخذ من بيشاور قاعدة لها - على بذل جهود أكبر لكسب ثقة كل من المنظمات الشيعية التي تتخذ من إيران قاعدة لها والعناصر غير الشيوعية في حكومة كابل الحالية.

١ - يعنون بهم الأحزاب الأربعة.

قراءة ثانية في "البيان"

الأخ الفاضل رئيس تحرير مجلة البيان ، حفظه الله ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد.

فعن قناعة أكيدة بسلامة المنهج الذي تسير عليه مجلة "البيان" ومن منطلق الشعور بالمسئولية تجاهها ، اكتب إليكم عن قراءتي الثانية بعد أن فرغت من مراجعة الأعداد الأخيرة ، وزادني ذلك ثقة بالمجلة وقدرتها على التميز ، ومحافظتها على شخصيتها المستقلة بين شقيقاتها من المجالات الإسلامية التي تصدر في عالمنا ، بل وعلى قدرتها الفائقة على الانتشار ودخولها إلى مكاتب الشباب المسلم - ضمن مناطق توزيعها - رغم أننا نعرف أنه لم يكن لها سابق دعاية قبل صدورها أو بعده.

ونحن القراء نسأل الله تعالى لكم ولأسرة البيان والمنتدى الإسلامي مزيداً من النجاح والثبات لأداء رسالتكم التي نذرتم أنفسكم لها ، ونسأله القبول وحسن القصد والصواب.

قرأت الأعداد الأخيرة ، وأعدت مراجعتها قبل الكتابة إليكم ، لأعبر لكم عن مدى ما نجده من تأثير لها في النفوس من خلال الحديث والمساءلة عن هذا "البيان".

فقد حفلت الأعداد الأخيرة بمجموعة طيبة من البحوث المتنوعة والدراسات الجادة في مجالات العقيدة والعبادة والثقافة الإسلامية والفكر التاريخي ، إضافة للأبواب الثابتة عن الخواطر الرائعة في الدعوة ، ومشكلات المسلمين وشؤونهم في شتى ديار الإسلام وفي ديار الغربة... وبرزت أسماء جديدة في المجلة تؤثر على مدى ثقة القارئ والكاتب المسلم بالمجلة التي لم تتجاوز عامها الثاني من عمرها المبارك الميمون بإذن الله تعالى.

وحسبنا أن نشير هنا إلى الدراسة القيمة "وإذا قلتم فاعدلوا" التي نشرت على صفحات العديدين الخامس والسادس ، وفيها أقام الكاتب - جزاه الله خيراً - موازين العدالة لتكون (مفتاح الحق وجامع الكلمة) فلعله يتحفنا بدراسات أخرى.

وفي العديدين السادس والسابع وجدنا بحثين في النبوة والرسالة ودور العقل البشري ، يبدو أنهما جزء من سلسلة مقالات لم تنشر بعد، فلعلها تكتمل لتعطي صورة كاملة عن البحث ، ولعل الباحث - حفظه الله - يتابع جهده في ذلك.

وكانت لفتة طيبة في العدد الثامن، بقلم الأخ مدير التحرير، إلى منهج البحث والتحقيق، وضع فيها النسبة الصحيحة بين المتن والهامش في تحقيق النصوص ونشرها؛ وفي الكتابة المتخصصة. وكان إخوانكم القراء ينتظرون في المجددين المعاصرين أن يجدوا بينهم اسم شخصية إسلامية لها مكانتها في النفوس وفي الدعوة الإسلامية، وهي شخصية المودودي رحمه الله ، فلا يزال التساؤل قائماً عن سبب غياب اسمه ، ومكانته في هذا المجال مرموقة.

وجميل أن تتابع المجلة نشر تعريف ببعض أعلام الفكر الإسلامي ومؤلفاتهم الرائدة ، كما فعلتم في العدد (١٢) عن الإمام محمد بن الحسن وكتابه ، وحبذا لو تابعتم نشر مقالات أخرى في هذا الجانب لتكون منارات مضيئة أمام القراء.

ونأمل أن نرى مرة أخرى عودة بعض الأبواب التي خلت منها أعداد المجلة ، من ذلك: مشاهداتي في بريطانيا ، وحبذا لو تتسع الدائرة لمشاهدات من بلاد غربية أخرى ، لتتضح الصورة والوجه الآخر للحضارة الغربية الخادعة، وكذلك "من مشكاة النبوة" ، فهي زاوية تصل القارئ بمصادر دينه

وتبين مكانة السنة في الهداية... فحبذا لو كان ذلك باباً ثابتاً في المجلة ويسبقه باب آخر عن آية كريمة من نور كتاب الله تعالى.

وسبق أن نشرتم قصيدتين في موقفين رائعين لبعض شعراء الدعوة الإسلامية فيها شيء من الطرافة والعناية بالأدب الإسلامي ، فمزيداً أيها الأخوة الكرام... ولتكن هذه الكلمات إشارة لبعض ما لفت الأنظار في المجلة مع ما فيها من أبواب ثابتة نافعة إن شاء الله.

وأخيراً حبذا لو أعطيتم مزيداً من الاهتمام بالإخراج الفني للمجلة ، فمثلاً في بعض "الشذرات" تبدأ القطوف بسطر واحد في أسفل الصفحة وتتمته في الصفحة التالية ، ولعل المخرج يتمكن من جعلها في صفحة واحدة ، فهو أكثر جمالاً للصفحة ، كما أنه لا يكون جميلاً بدء سطر ناقص في آخر الصفحة.

وقد فاتني أن أشير إلى أنني لست مع الأخ الذي يقترح عدم نشر رسائل القراء التي فيها شيء من المدح للمجلة ، بل مزيداً من ذلك ، ونحن على ثقة بأنكم لا تسعون لذلك ، فليكن هذا من باب عاجل بشرى المؤمنين...

ومعذرة إن كنت أطلت وأثقلت.. ولكم خالص دعواتنا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أخوكم: محمد عبد الله آل شاكر

استراحة البيان

إعداد: صالح الغفيلي

أولاً: قيس من النور:

قال عز وجل: ((الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)) [البقرة: ١٩٧].

من مفاهيم الآية:

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله في تفسيره (صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم): "... فمشروعية الله للحج وغيره من عبادات الإسلام المتنوعة هي تحرير لعقل الإنسان من الأوهام والأضاليل التي علقت به من مكر الدجاجة والطواغيت ، وتطهير لقلب الإنسان وتصفية له من محبة غير الله والتعلق بغير الله ، وتخليص له من وشائج الأرض والطين وعصبية الجنس المفرقة بين البشرية.. ولهذا تجد آيات الأحكام مختومة بالوصية بتقوى الله أو بما يقتضي التخويف من الله".

ثانياً: نافذة على الشعر:

هذه الأبيات من شعر الإمام الشافعي رحمه الله:

المرء بعلمه وتقواه

اصبر على مرّ الجفا من مُعَلِّمٍ	فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق مرّ التعلم ساعة	تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاتته التعليم وقت شبابه	فكبر عليه أربعاً لو فاته
وذات الفتى والله بالعلم والتقى	إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

ثالثاً: من رجال الدعوة:**الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله وغفر له:**

نسبه: هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم. مولده: ولد بالمملكة العربية السعودية ، القصيم بتاريخ ١٢ محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية.

نشأته: توفي والده وله سبع سنين فتربى يتيماً ، ولكنه نشأ نشأة حسنة ، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم، وقد قرأ القرآن الكريم بعد وفاة والده ، ثم حفظه عن ظهر قلب ، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس وكان يتعلم ويعلم رحمه الله.

ومن مصنفاته:

- ١- تفسير القرآن الكريم ، المسمى "تيسير الكريم المنان".
- ٢- الدررة المختصرة في محاسن الإسلام.
- ٣- القول السديد في مقاصد التوحيد.
- ٤- وجوب التعاون بين المسلمين.

الصفحة الأخيرة**مغالطة وتحريض حاقد****منصور الأحمد**

هما حالتان ، على اختيارك إحداهما يتوقف الحكم عليك ، إما أن تكون حليفاً ؛ أو ملتجياً. هكذا أفادنا الدكتور فؤاد زكريا أستاذ الفلسفة والعصرنة ، وحكيم هذا الزمان، فإذا كنت حليفاً ، محفوف الوجه ، غليظ التقاسيم ، وأضفت إلى ذلك جراءة تتقحم بك موارد التهجم على كل من اختار الإسلام له طريقاً كنت حليفاً بوصف المتطور التقدمي، المستنير ، عاشق الحرية ، والهارب من الظلام.

وإذا أعجبتك طريق الأنبياء ، وبدا لك أن تنضم إلى ركب أتباعهم ؛ فاخترت سيرة محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وآثرت الإقتداء بهم، والسير على هديهم والتخلق بأخلاقهم - ومن هديهم إرخاء اللحية - هنا تكون قد جردت نفسك من نعمة العقل، وحكمت على مواهبك بالتعطيل، واستوجبت الحكم القاطع غير القابل للاستئناف من هذا الدكتور ومريديه بأنك جاهل غير قابل للتعليم. وإذا سألتني: وهل من الإنصاف والعلمية والموضوعية التي يكثر هذا الدكتور الحديث عنها أن يطرده حكمه هذا على كل من أطلق لحيته ولو كان في شبه القارة الهندية، ويحكم (بقلة العقل ورثاة الفكر) ، على رجال مثل المودودي والندوي، مع أن هؤلاء لم يدخلوا في معركة معه ، ولم يشعروا بوجوده أصلاً؟!..!

قلت لك: لا أدري ، ولا أفهم الموضوعية التي يدعيها أمثال هذا (الدكتور) إلا أنها ترك الحبل له على الغارب كي يقول ما يشاء ، ويسب من يريد ، ولك أن تعد هذا التطرف في إطلاق الأحكام سورّة غضب على صاحب لحية قد يكون تصدى للرد عليه ، أو حسداً للمكانة الفكرية التي يتمتع بها الندوي والمودودي بين المسلمين عامة ، لا بين مسلمي الهند فقط ، بينما الدائرة التي تعرف ، فؤاد زكريا في

مسقط رأسه يقلقه حجمها ، لأنها دائرة ضيقة ومنبوذة في بحر متلاطم ، دع عنك دائرة أتباعه الصغيرة في دار هجرته الصغيرة .
وظمأنت محدثي: لا تغضب ، ولا يؤلمك إتاحة جريدة القبس صفحتها الأخيرة ويوم الجمعة لهذا الموتور كي ينضحها بفكره ، فلعل قراءً لم يقرءوا فكر المودودي والندوي بعد، يهرعون إليهما فيكتشفون فكراً أصيلاً ، وتحليلاً عميقاً ، وعفة في الجدل ، وسمواً في القصد والغاية أين منها التحريض الحاقد ، والمغالطة الثقيلة ، والادعاء الممجوج التي تطبع فكر فؤاد زكريا وأمثاله ، الذين اتخذوا الهجوم على الإسلام والمسلمين مهنتهم المفضلة:
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

تمت بعون الله والحمد لله
